

**منهج رفيق المصري في التأسيس لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها  
من خلال التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم  
د. أسماء محمد فاروق علي عيسى  
مدرس الدراسات الإسلامية بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة طنطا**

**ملخص البحث**

عرّف البحث بدكتور رفيق المصري، وبمعالم منهجه في التفسير الاقتصادي، وطرائقه في الاستدلال للتأسيس لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها، ونقد تفسيره نقدًا موضوعيًا، بيّن أبرز مزاياه، وأهم ما يؤخذ عليه. وذلك بهدف التعرف على جهود عالم معاصر في التأسيس لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها، وإبراز اتجاهاته في تحقيق أهدافه، للخلوص إلى تحديد أوجه الاستفادة من دراسة أبعاد التنمية المستدامة وأهدافها في التفسير الاقتصادي وتطبيقها في الواقع المعاصر.

واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وانقسم إلى ثلاثة مباحث: الأول: اتجاهات التفسير الاقتصادي في التأسيس لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها، والثاني: منهج الاستدلال للتأسيس لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها، والثالث: تقييم تأسيس التفسير الاقتصادي لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها. وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها: إمطة اللثام عن مميزات التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم في تأسيسه لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها، والتحقق من مناسبة معالجته لواقعنا، والإسهام في علاج مشكلة كبرى، من أخطر القضايا التي تشغل العالم بأسره، بما يكفل للحياة الإنسانية الدوام والاستقرار، ويحفظ بيئتها من الاختلال والتصدع والانحيار.

وأوصت الدراسة العلماء المصنفين بالتحري فيما يكتبون وينقلون، فالعلم أسمى من التباهي بالخروج برأي فريد غريب مبني على نزع الكلام من سياقه، أو إهدار المعنى اللغوي المعجمي، أو الاستناد إلى أحاديث ضعيفة، أو خطأ في استخدام الألفاظ الشرعية، أو تكلف ذكر أشياء لا حاجة للتفسير بها، كما طالبت عامة المسلمين بتطبيق أهداف التنمية المستدامة؛ فهي من صميم ديننا، ونادت العالم بأسره بالتزام تحقيقها، ودعت الباحثين إلى دراسات منها إبراز جهود علماء المسلمين في الدعوة إلى تحقيق أبعاد التنمية المستدامة وأهدافها.

**الكلمات المفتاحية:** رفيق المصري- التنمية المستدامة- التفسير الاقتصادي- اتجاهات

التفسير- أصول التشريع.

الحمد لله ما عند الخلق ينفد، وما عند الرحمن باق، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وبعد...

فالتنمية المستدامة مطلب أساسي ضروري، حظي باهتمام الباحثين والمنظمات والحكومات، في العديد من المحافل الدولية وندوات الهيئات العالمية؛ لحفظ التوازنات البيئية والتنوع البيولوجي والحد من التغيرات المناخية... لأن التدهور البيئي يُدَمِّرُ المكاسب التنموية، وقد أرسى القرآن الكريم العديد من القيم الإسلامية الشاملة التي تحمي البيئة، بما يحفظ الإنسانية والطبيعة والكون، ويَحْكُمُ العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين الإنسان والطبيعة بجميع ظواهرها، ومن العلوم التي اهتمت بهذه القضايا علم الاقتصاد الإسلامي الذي يرتبط بالاعتبارات القيمة الدينية في تكامل متناسق بين الماديات والمعنويات وبين الفكر والممارسات العملية.

لذا توسمت أن يكون كتاب "التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم للدكتور رفيق المصري" محلاً خصباً ومجالاً رحباً لدراسة تبرز سبق الإسلام جميع الدعوات البشرية لتحقيق التنمية المستدامة، وتربط أوامر القرآن الكريم ونواحيه في هذا الصدد بواقعنا الراهن.

وتكمن أهمية الموضوع في أن تطبيق فلسفة التنمية المستدامة من أهم القضايا المعاصرة الكبرى، التي تمثل صمام أمان للبشرية، وقد تنوعت فيه الدراسات، لكنها لم تبرز دور المفسرين القدامى أو المعاصرين في معالجته.

وتظهر مشكلة الدراسة في إن دراسة التنمية من الدراسات الحديثة التي اعتمد عليها علم الاقتصاد، ونظرياته التي تهتم بعوامل الانتاج وكمه وعلاقته بالبيئة الاجتماعية والثقافية والسياسية، وقضاياها المستجدة، وقد عني القرآن الكريم بوضع ضوابط تمثل الركائز الأساسية للاستدامة البيئية المعاصرة، فكان ظهور التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم داعياً إلى البحث عن فاعليته في معالجة قضايا التنمية المستدامة، وكشف منهجه واتجاهاته وأساليبه وطرائق استدلاله للتأصيل لأبعادها وأهدافها، وإبراز مدى تأثره بالواقع المعاصر، وإمكانية تأثيره فيه.

وتهدف دراسة منهج دكتور رفيق المصري في التأصيل لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها بتفسيره الاقتصادي للقرآن الكريم إلى:

١. التعريف بدكتور رفيق يونس المصري وحياته العلمية والعملية ومؤلفاته وجهوده ومكانته.

٢. كشف أبعاد التنمية المستدامة وأهدافها في التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم.

٣. إظهار منهج دكتور رفيق المصري واتجاهاته التفسيرية في تناول موضوع التنمية المستدامة.
٤. الوقوف على طرائق دكتور رفيق في الاستدلال للتأصيل لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها.
٥. تقييم آراء دكتور رفيق المصري التفسيرية.
٦. تحديد أوجه الإفادة من دراسة أبعاد التنمية المستدامة وأهدافها في التفسير الاقتصادي وتطبيقها في الواقع المعاصر.

**منهج البحث:** اقتضت طبيعة موضوع منهج دكتور رفيق المصري في التأصيل لأبعاد التنمية المستدامة أن أتبع في دراسته المنهج الوصفي التحليلي.

**الدراسات السابقة:** كثرت الدراسات التي عنيت بموضوع التنمية المستدامة، وتعددت الأبحاث التي اهتمت بفكر دكتور رفيق المصري وآرائه، وعلى الرغم من هذا لم أقف على دراسة سابقة في تفسير القرآن الكريم وأصول التشريع الإسلامي، تتفق مع موضوع بحثي في فكرته وأهدافه ومنهجه وخطته، وطريقة عرض المادة العلمية به، ومناقشة قضاياها.

**خطة البحث:** قسّمت الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وفق التفصيل التالي:

المقدمة تشتمل على: أهمية موضوع "منهج دكتور رفيق المصري في التأصيل لأبعاد التنمية المستدامة"، ومشكلة الدراسة، وأهدافها، ومنهجها، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

**التمهيد:** تعريف بمفردات عنوان البحث.

**المبحث الأول: اتجاهات التفسير الاقتصادي في التأصيل لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها، ويشتمل على:** - المطلب الأول: التأصيل لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها (البعد البيئي- البعد الاقتصادي- البعد الاجتماعي). - المطلب الثاني: أبرز معالم منهج دكتور رفيق المصري التفسيري.

**المبحث الثاني: منهج الاستدلال للتأصيل لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها، ويشتمل على:**

الاستدلال بالقرآن الكريم - الاستدلال بالحديث النبوي - الاستدلال بالإجماع - الاستدلال بالقياس - الاستدلال بالمصلحة - الاستدلال بقول الصحابة رضي الله عنهم - الاستدلال بشرع من قبلنا.

**المبحث الثالث: تقييم تأصيل التفسير الاقتصادي لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها، ويشتمل على:** - من مزايا تأصيل التفسير الاقتصادي لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها. - من المآخذ على تأصيل التفسير الاقتصادي لأبعاد التنمية المستدامة.

**والخاتمة:** تشتمل على أبرز نتائج بحث موضوع "منهج دكتور رفيق المصري في التأصيل لأبعاد التنمية المستدامة" وأهم توصياته، والحمد لله رب العالمين.

**التمهيد: تعريف بمفردات عنوان البحث:**

أ. دكتور رفيق يونس المصري<sup>(١)</sup>:

ولد في الثاني من يونيو، عام اثنين وأربعين وتسعمائة وألف ميلادياً بدمشق، ونشأ وتعلم بها، وحصل على بكالوريوس التجارة (شعبة المحاسبة) من جامعتها، عام ١٩٦٥م، ثم حصل على عدة شهادات علمية من ثلاث جامعات فرنسية، خاتمتها درجة الدكتوراه في اقتصاد التنمية، من جامعة "رين" عام ١٩٧٥م، عن رسالته: "مصرف التنمية الإسلامي: محاولة جديدة في الربا والفائدة والبنك".

وشغل العديد من المناصب بوزارتي المالية والتموين بسوريا، وعمل مدرّساً في المعهد المصرفي والمعهد الإعلامي بدمشق، وبكلية الاقتصاد والإدارة جامعة الملك عبد العزيز، كما عمل خبيراً بمجمع الفقه الإسلامي، وعضواً بمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، وعضواً بالجمعية الدولية للاقتصاد الإسلامي في لندن، وعضواً في اللجنة العلمية ولجنة المناهج، وباحثاً بمركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي في جامعة الملك عبد العزيز، وداعماً لمجلة المركز.

وصنّف عشرات المؤلفات في الاقتصاد الإسلامي، منها: الإعجاز الاقتصادي للقرآن الكريم: صدر عام ٢٠٠٥م، و(فقه المعاملات المالية) صدر عام ٢٠٠٥م، وأصول الاقتصاد الإسلامي: الطبعة الرابعة، صدرت عام ٢٠٠٥م، والغزالي اقتصادياً: صدر عام ٢٠٠٧م، وغيرها من الكتب التي تناولت العديد من القضايا الاقتصادية المعاصرة<sup>(٢)</sup>، بالإضافة إلى العديد من البحوث والانتقادات المتفرقة. وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات، وفي كتابة عدد من الموسوعات الاقتصادية، وترجم عدداً من البحوث الاقتصادية من الفرنسية والإنجليزية وإليها.

وفاز بجوائز أشهرها: جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد الإسلامي، بجدة، ١٤١٧هـ، وجائزة جامعة الزرقاء الأهلية في المملكة الأردنية الهاشمية، أثناء انعقاد مؤتمر كلية الشريعة السادس: "قضايا مالية معاصرة من منظور إسلامي"، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

ب. **التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم:** أحد مصنفات دكتور رفيق المصري، حاول فيه جمع

الآيات ذات الدلالات الاقتصادية، وتفسيرها بما يُناسب إبراز البعد الاقتصادي فيها، فتارة يفسر بالمأثور، بتفسير القرآن بالقرآن أو بالحديث النبوي، أو بأقوال الصحابة والتابعين، وتارة يفسر باللغة

(١) سجل سيرته الذاتية بنفسه. راجع: مدونة د. رفيق المصري <https://drmasri.files.wordpress.com>

(٢) منها: الاقتصاد والأخلاق، والأزمة المالية العالمية، والأوقاف، وبيع العربون وبعض المسائل المستحدثة فيه، وشركة الوجود، ومشاركة وسائل الإنتاج في الربح، ومناقصات العقود الإدارية، والنجش والمزايدة والمناقصة والممارسة، والإسلام والنقود، وربا القروض، والمصارف الإسلامية، وفشل الأسواق المالية (البورصات)، وغلاء الأسعار، ومصرف التنمية الإسلامي، وبيع المرابحة، والربا والفائدة، وزكاة المال والديون، والفكر الاقتصادي الإسلامي، وبيع التقييط، والميسر والقمار، والمسابقات والجوائز، وعلم الفرائض والمواريث، وأحكام بيع وشراء حلي الذهب والفضة، والتأمين التجاري...

تفسيراً معجمياً أو صرفياً أو نحوياً، أو يُفسر تفسيراً بلاغياً، وتارة يستخدم التفسير الإجمالي أو الدعوي أو العلمي أو المقارن أو الموضوعي، بحسب ما يترأى له أنه صالح لخدمة هدفه في موضعه. وقد بيّن منهجه في مقدمته، محدداً هدفه، وذكر أنه لا يتعرض لجميع الآيات، ولا لجميع السور، وقد يكتفي بالنقل عن المفسرين السابقين، وقد يعلق على أقوالهم، وقد يفسر بعض الآيات تفسيراً جديداً<sup>(١)</sup>. وتنوعت مصادره التراثية والمعاصرة، بين كتب التفسير وعلوم القرآن، وكتب الحديث، وكتب الفقه على اختلاف مذاهبه، وكتب الأصول ومقاصد التشريع، وكتب اللغة والمصطلح، وكتب السلوك، وكتب السير والتاريخ والبلدان، وكتب الاقتصاد<sup>(٢)</sup>.

ج. **التنمية المستدامة:** سعي دائم لتطوير نوعية الحياة الإنسانية، مع وضع النظام البيئي في الاعتبار، فهي إدارة قاعدة الموارد وصونها، وتوجيه عملية التغير البيولوجي والمؤسسي، لإشباع الحاجات الإنسانية للأجيال الحاضرة والمقبلة، بصفة مستمرة في كل القطاعات الاقتصادية، تتسم بالفنية والقبول، ولا تؤدي إلى تدهور البيئة<sup>(٣)</sup>.

**أبعاد التنمية المستدامة لسنة ٢٠٣٠م:** تختلف التنمية المستدامة عن التنمية، فهي أكثر تعقيداً وتداخلاً، فأبعادها متعددة ومختلفة، وترتكز إجمالاً في البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي والبعد البيئي، وأبعاد التنمية المستدامة نشاطات تؤدي إلى الارتقاء بالرفاهية الاجتماعية إلى أكبر قدر ممكن، مع الحرص على الموارد الطبيعية المتاحة، وتقليل الأضرار والإساءة إلى البيئة ما أمكن<sup>(٤)</sup>.

**أهداف التنمية المستدامة لسنة ٢٠٣٠م:** مجموعة متكاملة من التطلعات العالمية، تبلغ سبعة عشر هدفاً، يجب أن يلتزم كل إنسان في أنحاء العالم بتحقيقها بحلول عام ٢٠٣٠م؛ لإعادة توجيه الإنسانية نحو تطوير مسار مستدام لحياة سليمة مزدهرة منصفة على الأرض في الوقت الحاضر والمستقبل، وتسعى هذه الأهداف إلى إنهاء الفقر والقضاء على الجوع، وتعزيز الرفاهية للجميع، وضمان جودة التعليم وتحقيق العدالة والمساواة والسلام، وتوفير المياه والطاقة النظيفة، والعمل اللائق والنمو الاقتصادي، وتعزيز الصناعة، وتأمين المدن والمستوطنات البشرية، ومكافحة تغير المناخ، وحفظ الحياة على الأرض وتحت المياه، وعمل شركات لتحقيق الأهداف<sup>(٥)</sup>.

(١) التفسير الاقتصادي ص ٥.

(٢) راجع: السابق نفسه ص ٣١٥-٣٢٠.

(٣) راجع: التنمية المتواصلة- قراءة في السكان والاستهلاك والبيئة (ص ١٥٠)، نحو عالم مستديم (ص ٢٥).

(٤) راجع: إشكالية التنمية المستدامة وأبعادها (ص ٤)، دور استراتيجية الجودة الشاملة في تحقيق التنمية الاقتصادية في المؤسسة الاقتصادية (ص ٧١).

(٥) راجع: The United Nations, getting started with the sustainable development goals, Aguid for stakeholders, 2015, (p6).

## المبحث الأول: اتجاهات التفسير الاقتصادي في التأصيل لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها: المطلب الأول: التأصيل لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها:

أولاً: اتجاهات التفسير للتأصيل للبعد البيئي وأهدافه: تستلزم التنمية المستدامة المحافظة على قاعدة ثابتة من الموارد الطبيعية، باتباع أنماط إنتاج واستغلالها بشكل عقلاني؛ لتجنب استنزاف الموارد، وضمان التنوع الحيوي، ونقاء الهواء والمحافظة على التربة وأشجار الغابات، وحماية المياه الجوفية والسطحية. وتناول دكتور رفيق البعد البيئي من عدة جوانب، منها:

**الانتفاع بالبيئة بين الإباحة والحظر:** بيّن أن الأصل إباحة الانتفاع بما حباها الله ﷻ من طبيّات في البيئة، ففي تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ذكر أن الآية تدل على أن الأصل في كل ما تستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل إلا لدليل منفصل<sup>(١)</sup>، وفي تفسير قوله ﷻ: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩] أشار إلى أن الآية ومثلها آيات أخرى تدل على أن المحرمات محصورة، والمباحات غير محصورة<sup>(٢)</sup>، ففي ضوء ربط الآيات بنظائرها، في إطار موضوعي يبيّن نظرة الإسلام إلى علاقة الإنسان بالبيئة، فرصيد رأس المال الطبيعي هبة إلهية، وكل ما في الكون خلقه الله ﷻ لتلبية حاجات الإنسان الحياتية ورفاهيته.

وبيّن أن للانتفاع بالبيئة ضوابط، فهو محكوم بطلب مرضاة الله ﷻ، ففي تفسير قوله ﷻ: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧] ذكر قولان: الأول: لا تنس عمرك من الدنيا أن تعمل فيه لآخرتك، والثاني: لا تنس نصيبك الحلال من الدنيا من المأكّل والملابس والمناكح والمساكن وما يلائمها، من غير إسراف ولا مخيلة، ورأى أن القولين غير متناقضين بل متكاملين، فلا بأس باستعمال ما هو متمحض لنعيم الدنيا، إذا أتى العبد حقه ﷻ في ما آتاه<sup>(٣)</sup>، وفسر القرآن بالقرآن وبأقوال الصحابة ﷺ مع ربط الآيات بالواقع. وظهر تأصيله لتحقيق الهدف الثالث من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وهو ضمان حياة صحية وتعزيز الرفاهية للجميع.

**محدودية الموارد والتنمية المستدامة:** نوه دكتور رفيق على (مشكلة الندرة النسبية) في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤] حيث ذكر أن الآية تشير إلى وجود مشكلة اقتصادية متمثلة في أن الموارد محدودة والحاجات غير محدودة<sup>(٤)</sup>.

(١) التفسير الاقتصادي ص ٩٤، وأصل الكلام في مفاتيح الغيب (٣٨١/١٥).

(٢) التفسير الاقتصادي ص ٨٧.

(٣) نفسه ص ١٩٧-١٩٩. وأصل الكلام في الكشاف ٤٣١/٣، مفاتيح الغيب ١٥/٢٥، نظم الدرر ٣٥٢/١٤، ٣٥٣،

التحرير والتنوير (١٧٩/٢٠).

(٤) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٤٤.

واستعان في تفسير الآية بالتفسير اللغوي، والحديث النبوي والشعر، لكن يُؤخذ عليه تغليب النظرة المادية، فما عند الخلق ينفد وما عند الله ﷻ باق، وكان الأحرى أن يذكر أسباب سعة الرزق، بالارتباط بالله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

وبالغ في حديثه عن (مشكلة الندرة النسبية) في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] حيث ذكر أن مفسرين قالوا بأن لفظ الآية عام، ولكنه مخصوص بالمشاهدة أو الملاحظ أو الواقع، وأن الله ﷻ ربط الأسباب بالمسببات، فلا يقعدن عبد عن السعي، وينتظر الرزق<sup>(١)</sup>، وتفسيره للآية لغوي، مع ربطها بالواقع، لكن نظرتة مادية بحتة، فرزق الله ﷻ لا يقتصر على ما يُجلب بالسعي والجد والاجتهاد، بل يتسع لمعنويات وروحانيات لا حدود لها.

وفي المقابل ذكر في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢] أثر الإيمان في علاج نقص المياه، لإحياء البلاد من الجذب والقحط<sup>(٢)</sup>. ويستعين بالتفسير اللغوي المعجمي، وبياضح القرآن بالقرآن، ويوصل لتحقيق الهدف السادس من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وهو التأكد من توفر المياه والإدارة المستدامة لها.

**تنوع البيئات والتنمية المستدامة:** أشار دكتور رفيق إلى اختلاف أنواع البيئات في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا﴾ [الأعراف: ٥٨] فالأراضي الزراعية منها السبخة المالحة، التي يقل نفعها ويخبث ثمرها، مع عظم مشقة وصعوبة وعسر ما يُبذل فيها، ومنها الأرض الكريمة التربة التي يخرج نبتها طيب الثمر بسهولة وسرعة وكثرة، وذكر أن الآية تُوصّل لنظرية الربيع التفاضلي<sup>(٣)</sup>.

وهنا استعان بالتفسير اللغوي المعجمي، وربط تفسير الآية بالعلوم الحديثة، واستدل بالآية على التفاوت الحاصل في استثمار الأراضي بحسب جودتها، ولم يُشر إلى سبل المحافظة على التربة الطيبة وحمايتها من التصحر، لتحقيق الهدف الخامس عشر من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وهو حماية الأرض واسترجاع وتعزيز استخدام النظم البيئية الأرضية بطريقة مستدامة، وإدارة الغابات ومحاربة التصحر ومنع انجراف التربة وحفظ التنوع البيولوجي.

وأشار في تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] إلى اختلاف الثمار في طعومها وروائحها وجودتها وشكلها ولونها ومنافعها ومقدار حملها، وأن هذا التنوع مع كون الماء واحد راجع إلى تغيّر التربة، واختلاف

(١) راجع: السابق نفسه ص ١٢٧.

(٢) راجع: السابق نفسه ص ١٢٨.

(٣) راجع: السابق نفسه ص ٨٨، ٨٩، وأصل الكلام من مفاتيح الغيب (١٤/٢٩١)، تفسير المنار (٨/٤٢٧).



الأراضي وإن كانت متجاورة، وهذا من وجوه الإعجاز، وهو ما يُعرف في العلم الحديث بشرط بقاء العوامل الأخرى على حالها<sup>(١)</sup>. وبهذا فسر الآية تفسيرًا علميًا كشف فيه عن وجه الإعجاز، وفيه إشارة إلى خطورة تغير التربة الزراعية، وأثر ذلك في استدامة التنمية.

### التخطيط والتنمية البيئية المستدامة:

- **تخطيط لمواجهة العجز وتحقيق التوازن:** بيّن دكتور رفيق في تفسيره لقوله ﷺ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ\* ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾ [يوسف: ٤٧، ٤٨] أن يوسف ﷺ وضع خطة مدتها خمس عشرة عامًا، بحيث يكون الاستهلاك في السبع الأولى قليلًا، والادخار كبيرًا، والاستهلاك في السبع التالية كبيرًا والادخار قليلًا، ليحصل التوازن ويُسدَّ العجز الغذائي وتُحفظ الثروة الزراعية والحيوانية<sup>(٢)</sup>. وفي هذا إشارة إلى تنظيم استخدام الموارد الطبيعية، وترشيد الاستهلاك والتوسط والاعتدال، وتغيير أنماط الإنتاج والاستهلاك للحد من هدر الموارد، كما أن فيه عناية بالحيوانات والمخلوقات والرفق بها. وفي تفسيره لهذه الآيات اكتفى بإشارات لغوية لم يخض في تفسيرها، ولم ينقل أقوالاً مأثورة ولا تفسيرًا بالرأي. وفي هذا تحقيق للهدف الخامس عشر من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وهو حماية الحياة على الأرض.

- **التخطيط لحفظ النفس:** ذكر دكتور رفيق في تفسير قوله ﷺ: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلَيْتُمْ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يوسف: ٦٧] أن فيه إشارة إلى رعاية الأسباب المعتبرة في هذا العالم، بالحدز عن الأشياء المهلكة والأغذية الضارة، والسعي في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الإمكان، مع عدم الاعتماد على الأسباب، والبراءة عن كل شيء سوى الله ﷻ، والاعتقاد الجازم بأن العبد لا يصيبه إلا ما قدره الله ﷻ، وأن الحدز لا ينجي من القدر، وذكر من الأخذ بالأسباب قول يعقوب ﷺ: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ إذ خاف عليهم العين أو الاغتيال أو الإضرار بهم، فأمرهم بالدخول من أبواب متفرقة، ولم يقل متعددة؛ لإخفاء كونهم جماعة واحدة، وأشار إلى أن الآية تفيد مبدأ توزيع المخاطر<sup>(٣)</sup>. وقد استخدم التفسير اللغوي والتفسير بالحديث، وربط ذلك بعلم الاقتصاد، وفيه تأصيل للهدف الخامس عشر من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وهو حماية الحياة على الأرض.

**المناخ واستدامة الحياة في البر والبحر:** ذكر دكتور رفيق في تفسير قوله ﷺ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] أن

(١) راجع: التفسير الاقتصادي ص ١٤٢ - ١٤٤.

(٢) راجع: السابق نفسه ص ١٣٤.

(٣) راجع: التفسير الاقتصادي ص ١٣٨، ١٣٩، وأصل الكلام في جامع البيان (١٦/١٦٥)، زاد المسير في علم التفسير

(٤٥٥/٢)، مفاتيح الغيب (٤٨٣/١٨)، التحرير والتنوير (٢٠/١٣).



الفساد هو سوء الحال، بالمعاصي والتعدي والظلم والضلالة والذنوب والأعمال الخبيثة، وفساد البر بفقدان منافعه وحدوث مضاره، وظهور النقص بالجذب وحبس الأقوات من الزرع والثمار والكلاء، وذهاب البركة وقلة الريح في التجارات، ووقوع الموتان في الناس والدواب وظهور الشر والآلام والآفات بكثرة الحرق والحروب، والفتن والتدمير والإهلاك، وفساد البحر في تعطيل منافعه من قلة الحيتان واللؤلؤ والمرجان، والغرق، وكثرة الزوابع الحائلة عن الأسفار في البحر، ونضوب مياه الأنهار...<sup>(١)</sup>، وأضاف إلى ذلك التلوث وثقب الأوزون والاحتباس الحراري والأعاصير والبراكين والأمراض المستجدة والفتاوى الماجنة. وبهذا فسر الآية بتنزيلها على الواقع المعاصر، ليُظهر أثر فساد أحوال الناس في فساد البر والبحر والجو، مما يدل على أن صلاحهم يحقق أهداف التنمية المستدامة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ٢٠٣٠م.

### ثانياً: اتجاهات التفسير للتأصيل للبعد الاقتصادي وأهدافه:

التنمية الاقتصادية مجموعة من الإجراءات والتدابير الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، التي تهدف إلى بناء آلية اقتصادية ذاتية، لتحقيق زيادة حقيفة مطردة في الإنتاج ودخل الفرد والمجتمع، والتوزيع العادل للنتائج بين من أسهم في تحقيقه، مع إحداث تغيير اجتماعي وثقافي، فالتنمية عملية مُخططة متكاملة متعددة الأبعاد، تهتم بالكم والكيف<sup>(٢)</sup>.

وقد تناول دكتور رفيق يونس المصري البعد الاقتصادي من عدة جوانب، من أبرزها:

**ملكية المال:** بيّن دكتور رفيق في تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] أهمية المال في الإسلام، فحفظه المقصد الخامس من مقاصد التشريع، ولا يحتل المرتبة الأولى كما هو حاصل في النظم المادية والرأسمالية<sup>(٣)</sup>. وبهذا اتجه في تفسيره اتجاهًا دعويًا، معتمدًا على المقارنة بين التشريع الإسلامي والنظم الوضعية.

وذكر في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣] أن ملكية الناس للمال ملكية استخلاف، فيجب عليهم اتباع تعليمات الله ﷻ الذي استخلفهم فيه، فهم كأمناء الصناديق ينفذون تعليمات رؤسائهم<sup>(٤)</sup>. وفسر ألفاظًا تفسيرًا لغويًا، مع ذكر نظائر الآية في القرآن.

وركز في تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] على أن المال عارية مُسْتَزَدَّة، وهذا يستلزم ثلاثة أمور: أولها: وجوب اغتنام الفرصة قبل أن ينتقل من أيدينا، بإنفاقه في الخير والإصلاح والإحياء والعمارة، وسائر المصالح العائلية والعمامة والخيرية، والثاني:

(١) التفسير الاقتصادي ص ٢٠٥-٢٠٨. وأصل الكلام في: جامع البيان (١٠٩/٢٠)، الكشاف (٤٨٢/٣)، الجامع لأحكام القرآن (٤٠/١٤)، تفسير ابن القيم ص ٤٣٣، تفسير المراغي (٥٤/٢١)، التحرير والتنوير (١١٠/٢١).

(٢) راجع: دراسات التنمية الاقتصادية: عاطف السيد، دار المجمع الفكري، جدة، ١٩٦٨م، (ص ١٠)، الأسس العامة لنظرية النمو الاقتصادي: كلاوس روزه، (ص ١٤)، التنمية الاقتصادية: مطانيوس حبيب، (ص ٣٠).

(٣) التفسير الاقتصادي ص ٢٣٤.

(٤) راجع: السابق نفسه ص ١٨٥.

البعد عن التشاح والبخل به، والثالث: وضع المال في مواضعه والحذر من اختلاسه ونهبه<sup>(١)</sup>. وفسر الآية تفسيرًا إجماليًا وعظيًّا، مع ذكر نظائرها في القرآن الكريم.

**إنهاء الفقر والقضاء على الجوع:** ظهر تأصيل دكتور رفيق للأهداف الأول والثاني والثالث من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م وهي إنهاء الفقر بجميع أنواعه، وفي أي مكان، والقضاء على الجوع، وتحقيق الأمن الغذائي والتغذية الصحية، وتحسين الزراعة المستدامة وتعزيزها، وضمان حياة صحية، وتعزيز الرفاهية للجميع، من خلال أمور:

**أولها: الإنتاج لإشباع الحاجات:** فسّر دكتور رفيق التوكل في قول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢] تفسيرًا لغويًّا، وذكر أن معناه ليس الاتكال بلا عمل وأخذ بالأسباب، بل بذل الوسع وعدم الاغترار به، مع إظهار العجز لله ﷻ والافتقار إليه ﷻ، والاعتماد عليه تبارك وتعالى وحده، واستدل بالسنة النبوية على أن التوكل لا يعني ترك العمل، بل هو أمر إضافي فوق العمل<sup>(٢)</sup>، يقوي العزيمة ويقلل القلق ويزيد الثقة، ويُرضي بالنتائج، ويحفز على الاجتهاد حتى يتحقق النجاح<sup>(٣)</sup>. وبهذا استدل بالمعنى اللغوي المعجمي وبالوحي والمقصد من التشريع، وأصل للهدف الثامن من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وهو تعزيز النمو الاقتصادي المستدام، والتوظيف الكامل المنتج والعمل اللائق للجميع.

ونبّه في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤] على أن النّقدین خلقًا للتداول لا للحبس والاكتناز، بدليل اشتقاقهما اللغوي من الذهاب والانفضاض، والذي يُشعر بزوالهما، وعدم ثبوتهما، على الرغم من أنه بالمال تستجمع أسباب السؤدد والرئاسة والمجد والتفاخر<sup>(٤)</sup>. وبهذا استعان بالمعنى المعجمي، لتوضيح أن سبيل تحقيق الرفاهية المستدامة هو العمل وتشغيل الأموال.

**والثاني: الاستهلاك المسؤول المستدام:** دعا دكتور رفيق إلى الاقتصاد ونفّر من التبذير، في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥] ونقل أن مصالح الناس تقوم بالأموال، فناسب التعبير البليغ بكلمة (قيام) للحث على الاقتصاد، وبيان مقاصده، والتنفير عن الإسراف، وكان المنافع والمصالح الخاصة والعامة لا تزال قائمة ما دامت الأموال في أيدي الراشدين، الذين يحسنون استثمارها وتوفيرها، فإذا وقعت في أيدي المسرفين الذين يتجاوزون الحدود المشروعة والمعقولة، سقط ما كان من تلك المنافع والمصالح سالمًا قائمًا،

- (١) راجع: السابق نفسه ص ٢٣٩، ٢٤٠.  
(٢) كحديث: "أَعْلَاهَا وَأَتَوَكَّلُ"، وحديث: "لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ" سنن الترمذي: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ (٤/٦٦٨ ح ٢٥١٧)، سنن ابن ماجه: أبواب الزهد: باب التوكل واليقين (٥/٢٦٦ ح ٤١٦٤).  
(٣) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٤٦، ٤٧.  
(٤) راجع: السابق نفسه ص ٤٢، محاسن التأويل (٢/٢٩٢).

والمؤمن لا يسرف ولا يفتقر بل ينفق قواماً<sup>(١)</sup>. وبهذا اعتمد على تفسير القرآن بالقرآن، وهو قوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]<sup>(٢)</sup>، مع إبراز وجه البلاغة القرآنية، والتأصيل للهدف الثاني عشر من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م وهو التأكيد على الاستهلاك المسؤول المستدام وأنماط الإنتاج.

وفسر قوله ﷺ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١] بربط الآية بنظائرها في القرآن، فأبرز أنواعاً من الإسراف، وهي: الفرار من الزكاة، والإسراف في الانفاق الاستهلاكي، والإسراف في الانفاق الخيري، والانفاق في محرم<sup>(٣)</sup>، وهذه الوجوه من الإسراف ما كان يُجلبها غير هذا التفسير الموضوعي، مع الاستعانة بالتفسير المأثور بالحديث النبوي، ومنه قوله ﷺ: "المُعْتَدِي فِي الصَّدَقَةِ كَمَا نِعِمَّا"<sup>(٤)</sup>، لكنه عزاه إلى مصنف متأخر وهو سنن البيهقي، على الرغم من وجوده في مصادر متقدمة. ونقل في تفسير قوله ﷺ: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ (\*) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ [الإسراء: ٢٦، ٢٧] قول جمهور الفقهاء بالحجر على المبذر<sup>(٥)</sup>، لكنه لم يوثق هذا الرأي، وفسر الآية تفسيراً لغوياً، مع ذكر نظائرها الموضوعية.

وبيّن في تفسيره لقوله ﷺ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكَبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ [الكهف: ٧١] أن الحكمة قد تتطلب إفساد بعض المال لسلامة باقيه، بارتكاب أخف الضررين، وتقليل الخسائر إلى أدنى مستوى ممكن<sup>(٦)</sup>. وفسر الآية تفسيراً لغوياً وذكر فيها قراءات، وما ورد في مصاحف بعض الصحابة.

ووضّح في تفسيره لقوله ﷺ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] حكم ضمان إفساد حيوانات شخص لزروع غيره، وأن النبي ﷺ "قَضَىٰ أَنْ حِفْظَ الْحَوَائِطِ بِالنَّهَارِ عَلَىٰ أَهْلِهَا، وَأَنَّ حِفْظَ الْمَاشِيَةِ بِاللَّيْلِ عَلَىٰ أَهْلِهَا، وَأَنَّ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَاشِيَةِ مَا أَصَابَتْ مَاشِيَتُهُمْ بِاللَّيْلِ"<sup>(٧)</sup>. ومع التفسير بالحديث لبيان اختلاف شرعنا عن شرع من قبلنا في هذه المسألة، فسر الآية تفسيراً لغوياً معجمياً ونحوياً، مع ذكر نظائرها في القرآن.

- (١) راجع: تفسير المنار (٤/٣١٢، ٣١٣)، التفسير الاقتصادي ص ٥٩.
- (٢) وفسر هذه الآية من سورة الفرقان لغويا وبالحديث النبوي وأقوال الصحابة وذكر نظائرها من القرآن الكريم، راجع: التفسير الاقتصادي ص ١٨٧-١٨٩.
- (٣) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٨٠.
- (٤) راجع: السابق نفسه ص ٨٠، والحديث في سنن ابن ماجه: كتاب الزكاة: باب ما جاء في عمال الصدقة (٣/٢٧٠٨)، سنن أبي داود: كتاب الزكاة: باب في زكاة السائمة (٣/٣٥٨٥) وحسن الأرئوط إسناده.
- (٥) راجع: التفسير الاقتصادي ص ١٥٦-١٥٨. وذهب فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة إلى هذا، راجع: تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ١٩٤/٥، القوانين الفقهية ص ٢١١، الحاوي الكبير ٣٥٤/٦، المغني ٣٥٢/٤.
- (٦) راجع: التفسير الاقتصادي ص ١٦٧. وأصل كلامه في جامع البيان (١٨/٨٤) ط دار التربية والتراث، الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٤)، التحرير والتنوير (١٦/١٢).
- (٧) راجع: التفسير الاقتصادي ص ١٧٤. والحديث في سنن أبي داود: كتاب البيوع: باب المواشي تُفْسِدُ زَرْعَ قَوْمٍ (٥/٢٢٢٠٤ ح ٣٥٧٠ ت الأرئوط)، واختلف العلماء في تصحيحه وتضعيفه، وفي اتصاله وأرساله، راجع: النجم الوهاج في شرح المنهاج (٩/٢٧٨)، توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٦/٢٠١).

## والثالث: الاهتمام بالأجيال القادمة، ومنه:

العناية بإصلاح جميع شؤونهم، وورد هذا في تفسير قوله ﷺ: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ» [البقرة: ٢٢٠] حيث نقل أن الله ﷻ قال: «إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ» ولم يقل: "إصلاحهم"؛ لئلا يتوهم قصره على إصلاح معين كإصلاح ذواتهم، فيحتاج في دلالة الآية على إصلاح الأموال وغيرها إلى القياس، بل قصد جميع الإصلاح، فشمّل إصلاح ذواتهم وعقائدهم وأخلاقهم بالتعليم الصحيح والآداب الإسلامية ومعرفة أحوال العالم، وإصلاح أمزجتهم بالمحافظة عليهم من المهلكات والأخطار والأمراض، وبمداواتهم ودفع الأضرار عنهم بكفاية مؤنهم من الطعام واللباس والمسكن، ويشمل إصلاح أموالهم بتنميتها وتعهدا وحفظها<sup>(١)</sup>. وبهذا وظّف التفسير اللغوي النحوي لبيان أمر القرآن بتنمية مال اليتيم وإصلاح أحواله كافة.

الاهتمام بتنمير أموالهم، وورد هذا في تفسير قوله ﷺ: «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا» [النساء: ٥] حيث نقل أن قوله ﷺ: «وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا» عبر بالظرف ولم يقل: «وَارْزُقُوهُمْ مِنْهَا» فأمرهم أن يجعلوا أموالهم مكانا لرزقهم، بأن يتربحوا فيها ويثمروها، فيجعلوا نفقاتهم من الأرباح لا من رؤوس الأموال وأصولها، فلا يأكلها الإنفاق، وفيه إشارة إلى الاقتصاد واستثمار الأموال حتى لا تزال موضعا للفضل<sup>(٢)</sup>. وبهذا استعان بالتركيب النحوي في التفسير؛ ليبيّن حث القرآن على تحقيق التنمية المستدامة في جانبها المادي، كما استدل بحديث يدعم ما ذهب إليه لكنه ضعيف الإسناد.

وركّز في تفسير قوله ﷺ: «وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» [الأنعام: ١٥٢] على الصيغة الصرفية (أحسن) ودورها في الحث على الاجتهاد لتنمير مال اليتيم وتوفيره، للوصول إلى النهاية العظمى في المنفعة القصوى وكمال الربح لحظ اليتيم<sup>(٣)</sup>. وفي هذا تأصيل للأهداف الثلاثة الأولى من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م.

**والرابع: الادخار:** نبه على مشروعية الادخار عند تفسير قوله ﷺ: «وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» [آل عمران: ٤٩]، واعتمد على تفسير القرآن بسنة النبي ﷺ الفعلية، حيث كان ﷺ يذخر لأهله قوت سنة، والسنة القولية بإرشاده للادخار لوقت الشيخوخة والمرض، وأمره بترك مال للذرية لئلا يتكفون الناس، كما فسر القرآن بالقرآن في عرض موضوعي لقصة الصديق يوسف عليه السلام، وفائدة الادخار في الحصون<sup>(٤)</sup>. مع تفسير لغوي لقوله ﷺ: «تُحْصِنُونَ» [يوسف: ٤٨]. والادخار يُوفر

(١) راجع: التفسير الاقتصادي ص ١٩، وأصل الكلام في التحرير والتنوير (٣٥٦/٢).

(٢) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٦٠، ٦١، وأصل الكلام في الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٤٧٢/١)، مفاتيح الغيب (٤٩٦/٩)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٩٦/٥).

(٣) التفسير الاقتصادي ص ٨٣، وراجع: الحاوي الكبير (٣٦٣/٥)، مفاتيح الغيب (١٧٩/١٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/٧)، البحر المحيط في التفسير (٦٨٨/٤).

(٤) التفسير الاقتصادي ص ٤٥. وراجع: صحيح البخاري: كتاب النفقات: باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله، وكيف نفقات العيال (٦٣/٧ ح ٥٣٥٧)، صحيح مسلم: كتاب الوصية: باب الوصية بالثلث (١٢٥٠/٣ ح ١٦٢٨)، المستدرک على الصحيحين: كتاب الرقاق (٧٨٤٦ ح ٣٤١/٤) بسند صحيح على شرط البخاري ومسلم.

شرطاً أصيلاً من شروط تحقيق التنمية المستدامة، وهو تراكم الثروة لزيادة الاستثمارات على المستوى الفردي والجماعي، فزيادة الدخل القومي لن تخدم أغراض التنمية إلا إذا تحول الفائض إلى رأس مال تراكمي، يُوجّه لتعزيز الاستثمارات على نطاق واسع.

**والخامس: الربا والتنمية المستدامة:** بيّن دكتور رفيق في تفسير قوله ﷺ: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ [النساء: ١٦١] أن الربا محرم في جميع الشرائع<sup>(١)</sup>، ونقل ذلك عن أسفار من الكتاب المقدس، لتقرير أنه من شرع من قبلنا، الذي أقره شرعنا.

وأظهر التدرج في تشريع تحريم الربا عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]، وبيّن أنواعه، وما يحل منها وما يحرم، مع ذكر الآيات الأخرى في الموضوع<sup>(٢)</sup>. ووظّف البلاغة في توضيح ظواهر اقتصادية معاصره، كاستعمال التشبيه المقلوب، كما قاله ﷺ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]<sup>(٣)</sup>، وبيّن تذرّع الرأسماليين للتعامل بالمعاملات الربوية المحرمة.

ونزّل الآيات على الواقع مبيّناً أن ما يصيب الاقتصادات الربوية في عالمنا المعاصر من أزمات دورية يدخل في معنى المحق، لأن الله ﷻ يحق الربا ويعلم الحرب عليه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (\*) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]<sup>(٤)</sup>. واستعان بالقراءات كقراءة (يُمَحِّقُ) (وَيُرَبِّي) في قوله ﷻ: ﴿يُمَحِّقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرَبِّي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]<sup>(٥)</sup>. وقراءة التشديد (يُمَحِّقُ) (وَيُرَبِّي) قرأ بها ابن مقسم، وقرأهما الباقرن خفيفتين، وهو الاختيار لأنه الأصل، والتشديد زائد عليه، والأخذ بالأصل أولى<sup>(٦)</sup>، لكنه أشار إلى تعدد القراءات من غير عزوها إلى أصحابها، أو تمييز لشاذاها من متواترها، أو توجيه لمعانيها، ولعله أورد القراءة إشارة إلى أن زيادة المبنى بالتضعيف تزيد المعنى، تنويهاً على أثر الربا والصدقات في تحقيق التنمية المستدامة.

**شراكة عالمية من أجل تنمية مستدامة:** يرتبط تحقيق التنمية بالتعامل مع العالم الخارجي، وتنمية المبادلات بين الدول في السلع والخدمات، وقد ذكر دكتور رفيق في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] أنه ﷻ قدر فيها أرزاق أهلها وما يصلح لمعايشهم، من التجارات والأشجار

- (١) التفسير الاقتصادي ص ٧٣، وراجع: البحر المحيط في التفسير (١٣٣/٤).
- (٢) التفسير الاقتصادي ص ٢٠١-٢٠٥، وأصل كلامه في جامع البيان (١٠٣/٢٠)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤٨١/٣)، أحكام القرآن لابن العربي (٥٢٣/٣)، النكت والعيون (٣١٦/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٣٨/١٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٣٩/٤)، البحر المحيط في التفسير (٣٩٣/٨)، زاد المسير في علم التفسير (٤٢٤/٣)، محاسن التأويل (١٦/٨).
- (٣) التفسير الاقتصادي ص ٢٣، ٢٥.
- (٤) راجع: السابق نفسه ص ٢٨.
- (٥) السابق نفسه ص ٢٨.
- (٦) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها (ص ٥١١).

والمنافع، وخصائصها التي قسمها في البلاد مما خص به كل إقليم بشيء لا يوجد في غيره؛ لتنظيم عمارة الأرض كلها، باحتياج بعضهم إلى بعض، بالتجارات والصناعات والأسفار من بلد إلى بلد<sup>(١)</sup>. واعتمد في تفسير الآية على المعاني اللغوية، وذكر أن الآية مع آية سورة [الزخرف: ٣٢] تعدان أساساً للنظرية الاقتصادية الحديثة في التجارات الخارجية الدولية، فالآية تؤصل للهدف السابع عشر من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وهو الشركات من أجل تحقيق الأهداف، بتعزيز وسائل تنفيذ وتنشيط الشراكة العالمية من أجل تنمية مستدامة.

وذكر في تفسير قوله ﷺ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] أن هذا يوجب تخصيص كل منهم بما لديه، وتشاركهم وتعاونهم، لأن كلاً ميسر لما خلق له، وتتنظم أمورهم بالتفاوت بينهم في المواهب والهمم والصنائع والمعارف والبضائع، يجعلهم يتعارفون ويجمعون لأجل حاجة بعضهم إلى بعض، فالآية أساس في التخصص وتقسيم العمل، مما يخفف من الانكباب على طلب الدنيا، بالتورع عن الحرام<sup>(٢)</sup>. واستعان في تفسير الآية بالتفسير الدعوي الوعظي.

### ثالثاً: اتجاهات التفسير للتأصيل للبعد الاجتماعي وأهدافه:

تكشف الآيات ذات البعد الاجتماعي عن صلاحية القرآن الكريم لهداية البشرية في كل العصور، في المسائل المرتبطة بالحياة الإنسانية، وبناء المجتمع وإدارة شؤونه وإصلاحه وإيجاد حلول لمشكلاته، والعناية بقضايا الإنسان المعاصرة. وقد تناول دكتور يونس المصري البعد الاجتماعي من عدة جوانب، أبرزها:

**الاستخلاف في الأرض والتنمية المستدامة:** خلق الله ﷻ الإنسان لعباده وجعله خليفة في الأرض، وهذا يُجلي مكانته ويُحدد دوره ومسؤولياته، فالمسلم مُكَلَّفٌ مسؤول عما يقوم به من أداء أمانة الاستخلاف وإدارتها بما يحقق المنفعة. وفي تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ذكر دكتور رفيق أصل بنية كلمة (خليفة)، وأنها: خَلِيفٌ، بغير هاء، فدخلت "الهاء" للمبالغة، كما قالوا: رجل علامة نسابة راوية<sup>(٣)</sup>، لكنه نقل هذا عن مصدر وسطي، وركز على هدفه وهو تأكيد المبالغة في استمرار خلافته، ولم يذكر تنمة السياق، وهي أن "الهاء للمبالغة في مدحه بهذا الوصف"، والمدح يدل على معنى زائد، وهو استحباب هذه الخلافة.

- (١) التفسير الاقتصادي ص ٢٢١-٢٢٣. وأصل هذا الكلام في: جامع البيان (٤٣٦، ٤٣٥/٢١)، مفاتيح الغيب (٥٤٥/٢٧)، الجامع لأحكام القرآن (٣٤٣، ٣٤٢/١٥)، البحر المحيط في التفسير (٢٨٧/٩)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٥٠/١٧، ١٥١)، البلدان لابن الفقيه (ص ٥١١، ٥١٢).
- (٢) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٢٣١، ٢٣٢. وأصل الكلام في جامع البيان (٥٩٥/٢١)، مفاتيح الغيب (٦٣٠/٢٧)، البحر المحيط في التفسير (٣٧٠/٩)، نظم الدرر (٤٢٢/١٧)، التحرير والتنوير (٢٠٢/٢٥).
- (٣) التفسير الاقتصادي ص ٧، وأصل الكلام لابن الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس (٢٢٩/٢).



ونقل أن في المستخلف فيه آدم قولين: أحدهما: الحكم بالحق والعدل، الثاني: عمارة الأرض<sup>(١)</sup>. والأول يحقق الأهداف الخامس والعاشر والسادس عشر من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، التي تطالب بتوفير العدالة لجميع المجتمعات، وخفض عدم المساواة داخل الدول وفيما بينها، وتحقيق المساواة بين الجنسين. بينما تحقق عمارة الأرض الأهداف السبعة عشر كافة.

**قيمة العمر وحفظ الأوقات:** بيّن دكتور رفيق في تفسير قوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣] أن اللغو هو ما لا يُعْتَدُّ به، أو ما لا يعني المرء من القول والعمل، كاللعب واللهو والهزل والباطل... والإعراض عن اللغو من المسائل المهمة تنمويًا؛ لأجل تحرير الأوقات والطاقات والأموال، وشغلها فيما ينفع لتعظيم منافعها في تحقيق التقدم والتنمية<sup>(٢)</sup>، وقد فسر الآية بالحديث النبوي مع ذكر نظائرها من القرآن الكريم.

**تحقيق العدالة الاجتماعية:** برزت المناداة بها في تفسير دكتور رفيق من خلال أمور منها:

- **القضاء على الفوارق الاجتماعية:** ذكر في تفسير قوله ﷺ: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١] أن العباد ليسوا مستويين في الرزق، فالترفضيل واقع لا محالة، والتفاوت بينهم بحر لا ساحل له، فهو غير مختص بالمال، بل يحصل في الذكاء، والحسن، والعقل، والصحة والقسم والاسم... وهذا التفاوت ثابت ومشاهد وفطري، ولو سُوي بينهم لعادوا واختلفوا لاختلاف مواهبهم وقدراتهم، ولو سُوي بينهم لافتقدت الحوافز إلى العمل والنشاط والانتاج والاكتساب، فهذا التفضيل يحقق الكفاءة والعدالة والتنوع والتكامل والتعاون<sup>(٣)</sup>، وبهذا اعتمد على التفسير الوعظي، واستدل بالآية على أن المساواة المطلقة بين الأنواع الاجتماعية غير ممكنة، فالتفاوت يساهم في تحقيق الهدف السادس عشر من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م وهو تحقيق العدالة.

وفي تفسير قوله ﷺ: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ \* فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤١] يعرض سنة الاقتراع، وأنها طريقة إقناعية من طرق القضاء، لفصل التنازع عند التباس الحق، أو عند استواء عدد في استحقاق شيء، مع فقدان المرجح وعدم إمكان التوزيع على الجميع بالتساوي أو بالتناسب، وهي من شرع من قبلنا، الذي أقره شرعنا في مواضع، كالاقتراع بين الزوجات عند إرادة السفر، وبين المختصمين عند التشاح في قسمة الميراث، ولم يقره في إلقاء آدمي في البحر، وكذا متى تعينت المصلحة أو الحق في جهة لا يجوز الاقتراع؛ لأن في القرعة ضياع الحق المُتَعَيَّن، وهي متى جازت كانت دافعة للتهمة والمحابة والضغائن والأحقاد<sup>(٤)</sup>.

- (١) البحر المحيط في التفسير (٢٢٧/١).
- (٢) راجع: التفسير الاقتصادي ١٧٧، ١٧٨. وكذا أشار لتلك المعاني في تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، راجع: ص ١٩٦، ١٩٧.
- (٣) راجع: التفسير الاقتصادي ص ١٤٩، ١٥٠. مفاتيح الغيب (٢٤٣/٢٠)، البحر المحيط في التفسير (٥٦٤/٦).
- (٤) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٢١١-٢١٤. وأصل الكلام في جامع البيان (١٠٦/٢١)، (١٠٧)، أحكام القرآن لابن العربي (٣٧/٤، ٣٨)، مفاتيح الغيب (٣٥٦/٢٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٢٣/١٥-١٢٥)، تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية (بحاشية الفروق للقرافي) (١٧٧/٤)، التحرير والتنوير (١٧٣/٢٣).

وفي اقتراح نبي الله يونس عليه السلام مع سائر الناس تحقيق لمبدأ المساواة، الذي نادى به الهدف العاشر من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وقد فسر الآية تفسيراً لغوياً، مع تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة الفعلية والقولية، والاستدلال بشرع من قبلنا، وبيان ما أقره شرعنا وما خالفه.

**- العدالة في توزيع الثروات بين الأفراد:** في تفسير دكتور رفيق لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ﴾ [ص: ٢٣] ضرب مثلاً لمن بلغ ملكه تسع وتسعون نعجة، ويرغب في الاستيلاء على نعجة أخيه، ليصير له مائة نعجة، ولأخيه صفر، وهذا يصلح مثلاً لسوء توزيع الثروة، وما ينشأ عنه من سوء توزيع الدخل والسلطة؛ فيختل التوازن بين الناس في الثروات والسلطات اختلالاً يهدد الأمن والسلام بينهم، فعلى الأفراد والدول أن يعملوا على الحد من التفاوت الفاحش بينهم، لكي لا يغتر القوي فيطغى، ولا يركن الضعيف فيستعبد، لكن النظم التي تتعمد إلغاء التفاوت أو تعظيمه تناقض الفطرة وتضعف الحافز، وتؤدي إلى الابتزاز والنهب والفساد والطغيان<sup>(١)</sup>. وبهذا أشار ضمناً إلى مساوى الرأسمالية والشيوعية، واكتفى في تفسيره للآية بتفسير لغوي، وربط المثل بالواقع، ونقد النظم الوضعية المخالفة للإسلام، لتحقيق الهدف العاشر من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وهو تخفيض عدم المساواة بين الدول وفيما بينها. لكنه لم يطرح حلولاً لعلاج هذه الظاهرة.

وفي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧] ذكر أنه بدا من هذا التعليل أن من مقاصد الشريعة أن يكون المال دولة بين الأمة الإسلامية، لنلأ يتداوله الأغنياء بينهم فيغلبون الفقراء عليه، وأوضح أن الآية تضع قاعدة لتنظيم المجتمع الإسلامي، إذ تعترف بالملكية الفردية، مع وضع ضوابط تحد من عظم التفاوت بين المسلمين، وأضاف أن مما يخفف من هذا التفاوت منع محرقات كالغش والاحتكار والمضاربة على الأسعار، وفعل واجبات كالزكاة والكفارات والوصايا، وإيصال الحقوق لمستحقيها كالموارث وتوزيع الفيء<sup>(٢)</sup>. وقد فسر الآية تفسيراً لغوياً، كما استعان بالسنة النبوية الفعلية والقولية.

وعرض في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] حكم الكنز، مستعيناً بالتفسير اللغوي المعجمي والنحوي، وبتفسير القرآن بالقرآن والحديث وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، وذكر اختلاف أقوال المفسرين في معنى الكنز، ورجح أنه كل مال لا تُؤدى زكاته والحقوق الواجبة فيه<sup>(٣)</sup>، وبهذا بين دور الزكاة في تحقيق الهدف الأول والثاني والثالث من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م بالقضاء على الفقر والجوع وتحقيق الرفاهية.

(١) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٢١٥، ٢١٦.

(٢) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٢٤٧-٢٤٩. ومن مصادر كلامه: زاد المسير في علم التفسير (٢٥٨/٤)، التحرير والتلوين (٨٥/٢٨).

(٣) راجع: التفسير الاقتصادي ص ١٠٣-١٠٦. وأصل كلامه في الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢٦٦/٢)، زاد المسير (٢٥٤/٢)، مفاتيح الغيب (٣٥/١٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٢٣/٨)، تفسير المنار (٣٤٩/١٠).

وعدد مصارف الزكاة الثمانية في تفسير قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةَ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠] معتمداً على التفسير اللغوي النحوي، وتفسير القرآن بالقرآن، ليبين أن المصارف تصل إلى قسمين: أشخاص ومصالح، وأن الترتيب في الآية لتصل إلى الأحق فالأحق والأهم فالأهم<sup>(١)</sup>، واستنبط من الآية دراسة الجدوى الاقتصادية للزكاة، وإن كانت الزكاة عبادة دراسة الجدوى فيها مطلوبة، فكذا لاستدامة المشروعات وبقائها وتطورها لا بد من الجدوى الاقتصادية لتكون رابحة<sup>(٢)</sup>. ودراسة جدوى الزكاة إنما كانت لحفظ حق المحتاجين وتحقيق التكافل الاجتماعي، بإخراج الصدقات لمستحقيها، وفيها تأصيل للأهداف الأول والثاني والثالث من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م.

وذكر في تفسير قوله ﷺ: ﴿أَنْطَعُمْ مَنْ لَوْ يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْطَعَمَهُ﴾ [يس: ٤٧] أن هؤلاء يعبرون عن الآراء الاقتصادية التي لا ترى للفقراء حقاً في أموال الأغنياء، قائلين عن استهزاء أو اعتقاد أو جهل: كيف نُؤمر بالإطعام ولو شاء الله إطعامهم لأطعمهم؟ ومن أراد الله ﷻ تجويعهم، لو أطعمناهم يكون ذلك سعياً في إبطال فعله ﷻ، وإذا كان ﷻ رزقنا فهو قادر على أن يرزقهم، فلا تلتمسوا الرزق منا، وهم بهذا نظروا إلى المراد، ولم ينظروا إلى الطلب والأمر<sup>(٣)</sup>. وقد حاول في تفسيره تنزيل الآية على الواقع.

**التعليم والتعلم:** نبه دكتور رفیق في تفسير قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] إلى أن الله ﷻ لا يبديل ما بقوم من شر كالتخلف والفساد والهزيمة والنقم، أو من خير كالصلاح والاستقامة والقوة والنعم، حتى يغيروا ما بأنفسهم، وهو ما يُعبر عنه في علم الاقتصاد والتنمية بمصطلح (تغيير العقلية) فالنقد له عقلية مختلفة عن عقلية التخلف<sup>(٤)</sup>. واستعان في تفسيره بالحديث النبوي وبتنزيل الآيات على الواقع، وفيه إشارة إلى أهمية البناء العقلي لتحقيق التنمية، وتأصيل للهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م.

وحدث في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] على أن يتعلم الإنسان ما يغلب على ظنه أنه سينجح فيه، حتى لا يعطل طاقاته (حواسه وعقله)، بل يسعى فيما هو أهل له ويقدر عليه مما هو في اختصاصه ويتوقع أن يحسنه<sup>(٥)</sup>، وفسر الآية تفسيراً لغوياً، واستعان بتفسير القرآن بالقرآن، بأقوال الصحابة والتابعين، وفي هذا ضمان لجودة التعليم، حتى يُؤتي ثماره، فيحقق التنمية.

- (١) راجع: التفسير الاقتصادي ص ١٠٩-١١٢.
- (٢) لأن القرآن أدخل مصرف العاملين عليها بين مصارفها، فوجب مراعاة هذه الجدوى بحيث تكفي حصيلة الزكاة الصرف على المصارف الأخرى وتغطي مصاريفها الإدارية، ويكون إيرادها أعلى من مصاريفها بمقدار جوهري، كيلا يستوعب الإنفاق الإداري الزكاة فهو وسيلة وليس هدفاً كالإنفاق الخيري، فيمكن تطبيق سقف (٨/١) على العاملين عليها، راجع: التفسير الاقتصادي ص ١١٩، ١٢٠.
- (٣) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٢٠٩، ٢١٠. وأصل كلامه في مفاتيح الغيب (٢٦/٢٨٩)، الجامع لأحكام القرآن (٣٧/١٥)، محاسن التأويل (٧٣/١)، التحرير والتنوير (٣٢/٢٣).
- (٤) راجع: التفسير الاقتصادي ص ١٤٥-١٤٧.
- (٥) راجع: السابق نفسه ص ١٥٩-١٦١.

واستدل بقوله ﷺ: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُوهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾

[البقرة: ٢٨٢] على مشروعية محاسبة العمليات العاجلة (الحاضرة)، وعلى أن في الأمر بالكتابة نقل للأمة من الأمية إلى أمة متعلمة<sup>(١)</sup>. وهذا يحقق الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م جودة التعليم بضمان شامل ومنصف لجودته، وتعزيز التعلم مدى الحياة وضمان الفرص للجميع.

كما دعا للتركيز على بناء الفرد بالتعليم والتدريب وإجراء الاختبارات؛ لتكوين أشخاص منظمين، يعملون من أجل التنمية والتقدم، واستدل بقوله ﷺ: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦] على أهمية الرشد لتحقيق المصالح الشخصية والعامية<sup>(٢)</sup>. وبهذا اعتنى بتكوين النشء معنوياً ليكونوا رجال المستقبل، مستدلاً بالآية، مع تفسير لغوي لمعنى الابتلاء والرشد.

واستنبط من قول الله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] وجوب تعلم سرعة الحساب والمحاسبة، وعدم انتظار مطالبة أصحاب الاستحقاقات بالدفع، وتطبيق ذلك في الأجهزة المعاصرة والبرامج المحاسبية الحديثة، لاسيما في الحسابات الختامية وميزانيات المنشآت<sup>(٣)</sup>. وفي هذا تنزيل للآيات على الواقع المعاصر.

وأشار في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٦] إلى أن العلم يقوم على الواقع وليس على الأهواء، فهذه الآية وأمثالها مهمة في البحث العلمي من الناحية المنهجية<sup>(٤)</sup>. واكتفى بالإشارة إلى وجود آيات أخرى، وهذا ضمن اتجاهه للتفسير الموضوعي، وإن لم يذكر الآيات.

**قضايا المرأة:** ظهر تأصيله للهدف الخامس من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وهو

تحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين النساء والفتيات في عدة موضوعات، من أبرزها:

- **المفاضلة بين الرجال والنساء:** في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢] أورد سبب نزول الآية، وذكر أن أم سلمة - رضي الله عنها- قالت: "يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا تَغْزُو النِّسَاءُ وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ"؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(٥)</sup>، واستدل بالآية على أن

الفضل لا يُشترط فيه جنس بعينه<sup>(٦)</sup>، لكن يُلاحظ أنه لم يذكر تنمة الحديث عند الترمذي، وهي قول

(١) السابق نفسه ص ٣١.

(٢) راجع: السابق نفسه ص ٦٣.

(٣) راجع: السابق نفسه ص ٥١، ٥٢.

(٤) راجع: السابق نفسه ص ٧٨.

(٥) السابق نفسه ص ٦٩، وهو في سنن الترمذي: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ: باب: ومن سورة النساء

(٣٣٧/٥ ح ٣٠٢٢)، وقال الترمذي: "هذا حديث مرسل"، وقال الحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٣٣٥/٢):

"هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، إِنْ كَانَ سَمِعَ مُجَاهِدًا مِنْ أُمِّ سَلْمَةَ"، وجزم الشيخ محمود محمد شاكر

في تحقيقه لجامع البيان (٢٦٢/٨) بأن مجاهدًا أدرك أم سلمة يقينًا وعاصرها، وصححه شاكر والألباني.

(٦) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٧١.

مُجَاهِدٌ: "وَأَنْزَلَ فِيهَا (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) [الأحزاب: ٣٥]، ولو أورد الرواية كاملة لكانت أبلغ في الدلالة على ما ذهب إليه من بيان عدالة أحكام الإسلام في التعامل مع المرأة.

- **قوامة الرجل:** في تفسير قوله ﷺ: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» [النساء: ٣٤] ذكر أن درجة القوامة درجة تكليف وتقسيم عمل وتوزيع أدوار وتخصيص وظائف بين الجنسين، واستدل بقوله ﷺ: «بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» على أن جنس الرجال ليس مفضلاً على جنس النساء؛ لأنه ﷺ لم يقل: (بما فضلهم عليهن) فكلُّ مفضل في بابه ووظيفته، وقد يُفضَّل رجل على رجل أو امرأة على امرأة أو رجل على امرأة أو امرأة على رجل<sup>(١)</sup>، وكلامه صحيح شرعاً وعقلاً، لكن استدلاله بقوله ﷺ: «بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» غير صحيح؛ لأنه نزعه من سياقه الدال بوضعه اللغوي على المذكر «الرِّجَالُ»، «قَوَّامُونَ»، «أَنْفَقُوا»، «أَمْوَالِهِمْ».

- **ميراث المرأة:** عرض في تفسير قوله ﷺ: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» [النساء: ١١] لقضية الإرث، وأول الآية تأويلاً مقاصدياً، مبيناً الحكمة من كون خُرُج المرأة أقل من خُرُج الرجل، فالرجل أحوج إلى المال لما يتحملة من مشاق لتحصيل مؤنة التكسب والإنفاق على نفسه وعلى من يعولهم، والمرأة يُنْفَقُ عليها، فليس الأمر محاباة للذكور على الإناث، ولكن توازن بين الأعباء في النظام الأسري والاجتماعي<sup>(٢)</sup>. وفسر القرآن بالقرآن في إطار موضوعي<sup>(٣)</sup>. وأبرز مواطن تفاضل الرجال على النساء في الميراث، ومواقع المساواة بينهما، وأحيان تفاضل الأنثى على الذكر في الإرث.

- **المرأة والمناصب القيادية:** في تفسير قول الله ﷻ: «قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ» [النمل: ٣٢] استدلت دكتور رفيق بما حكاه الله ﷻ على لسان الهمداني: «إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ» [النمل: ٢٣] على أن المرأة في المجتمعات القديمة ذات النظام الديمقراطي كانت تتولى أعلى المناصب، وأنها كانت ملكة عاقلة حكيمة مستشيرة، ذات مملكة قوية، لم تخاطر بالاستبداد بمصالح قومها، وآثرت تجنب دخول الحرب مع سليمان ﷺ؛ خشية تدمير البلاد وإذلال العباد، ولم تعرض ملكها لمهاوي أخطاء المستبدين<sup>(٤)</sup>. وقد استعان في تفسير الآية بالتفسير اللغوي المعجمي والنحوي.

**القضاء على البطالة:** ظهر تحفيز دكتور رفيق على العمل في عدة صور، من أبرزها: تعزيز القدرات والاهتمام بالموهوبين ورعايتهم، وتخيار الأكفاء، ففي تفسير قول الله ﷻ: «وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ» [النساء: ٣٢] ذكر أن لكل إنسان مزايا نسبية، وعلى كل

(١) راجع: السابق نفسه ص ٧٢.

(٢) راجع: السابق ص ٦٦، ٦٧، وأصل الكلام في مفاتيح الغيب ٥١١/٩، تفسير المنار ٣٣٣/٤، محاسن التأويل ٣٨/٣.

(٣) راجع: السابق نفسه ص ٧١، ٧٢.

(٤) راجع: السابق نفسه ص ١٩١-١٩٤.



شخص أن يكتشفها في نفسه، ويعرف استعداداته ويستفيد منها ويفيد، مع التعلم والتدريب والصبر<sup>(١)</sup>. وبهذا استدل بالقرآن، وأصل للهدف الثامن من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وهو تعزيز النمو الاقتصادي المستدام، والتوظيف الكامل المنتج والعمل اللائق للجميع.

وبين في تفسير قول الله ﷻ: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] أن اشتراط اتصاف العامل بهاتين الصفتين أمر بدهي، لكن التأكد من توافرها فيه ليس بدهياً، بل يحتاج إلى علم وخبرة وملاحظة وتجربة<sup>(٢)</sup>. وذكر في تفسير الآية تفسيراً لغوياً، وقراءات أرى أن ذكرها لم يخدم التفسير عنده.

وفي تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدُنَا مَكِينٌ أَمِينٌ\* قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٤، ٥٥] ينتقد قول من يتهم يوسف ﷻ بطلب الإمارة، ويبيّن أن الملك طلب يوسف ﷻ، فقام يوسف ﷻ بمساعدته في اختيار المنصب الذي يصلح له؛ لعلمه بوجوه التصرف والصلاح والتنمية<sup>(٣)</sup>. وقد استعان بالتفسير اللغوي، وبتفسير القرآن بالقرآن وبالحدِيث، مع تنزيل الآيات على الواقع، بربط الموقف بنظائره المعاصرة.

بذل الوسع لتحقيق القوة: في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] استدل بالآية على أن هذه القوة تتضمن القوة العلمية والعسكرية والاقتصادية والتكنولوجية، وسائر العناصر اللازمة للأمة الإسلامية في مواجهة أعدائها<sup>(٤)</sup>، وبهذا فسر الآية تفسيراً دعوياً، وأصل للهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وهو الضمان الشامل والمنصف لجودة التعليم، وتعزيز التعلم مدى الحياة، وضمان الفرص للجميع، وللهدف الثامن بتعزيز النمو الاقتصادي المستدام والتوظيف الكامل والمنتج والعمل اللائق، وكذا الهدف التاسع بالتعزيز الكامل والمستدام للصناعة والابتكارات.

**المطلب الثاني: أبرز معالم منهجه التفسيري:** تنوعت سمات تفسيره باختلاف الآيات، ومنها:

- ذكر القراءات الواردة في الآية: تفاوت استدلاله بالقراءات، فقد يذكر القراءة ويفسرها بالحديث كما في [سورة البقرة، الآية: ٢١٩]، وقد يشير إلى تعدد القراءات كما في [سورة البقرة، الآية: ٢٧٦]، من غير عزوها لأصحابها أو تمييز لشاذها من متواترها أو توجيه لمعانيها، وقد يذكر ما ورد في مصاحف بعض الصحابة ﷺ، كما في [سورة الكهف، الآية: ٧١]، وقد يعدد قراءات أرى أن ذكرها لم يخدم التفسير عنده، كما في [سورة القصص، الآية: ٢٦].

(١) راجع: السابق نفسه ص ٧١، ٧٢. ونبه على المزايا النسبية في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣]، وربط الآيات بعضها ببعض في إطار موضوعي، راجع: ص ١٢٥، ١٢٦. وكذا في تفسير قوله ﷻ: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤]، راجع: ص ١٦١، ١٦٢.

(٢) راجع: السابق نفسه ص ١٩٥، ١٩٦.

(٣) راجع: السابق نفسه ص ١٣٥، ١٣٦.

(٤) راجع: السابق نفسه ص ١٠٠.



- إيراد أسباب النزول: تباين تعامله مع أسباب النزول، فقد يذكرها أحياناً، كما في سور: [النساء، الآية: ٣٢]، [الأنعام، الآية: ١٥٢]، [المجادلة، الآية: ١٢]، وقد يتغاضى عن ذكرها مع حاجة التفسير إلى إيرادها، كما في [الأنعام، الآية: ١٤٠].

- **توظيف التفسير اللغوي والبلاغي** لبيان أحكام القرآن، فاستخدم التفسير المعجمي كما في سورة: [آل عمران: ١٤، ١٢٢]، [الأعراف: ٥٨]، [التوبة: ٣٤، ٦٠]، [هود: ٥٢]، [الأنبياء: ٧٨]، والتفسير الصرفي كما في سورة [الأنعام: ١٥٢]، والتفسير النحوي كما في: [البقرة: ٢٢٠]، [النساء: ٥]، [التوبة: ٣٤، ٦٠]، [الأنبياء: ٧٨]، [النمل: ٣٢]، [العصر: ٣]، وتناول التفسير بدلالات الألفاظ: كالمنطوق والمفهوم - المطلق والمقيد كما في [آل عمران: ١٣٠]. وأشار إلى موضوعات بلاغية عديدة، كالحقيقة والمجاز، والاستفهام، كما في: [البقرة: ٢٤٥]، والتشبيه المقلوب، كما في [البقرة: ٢٧٥].

- **تنوع مناهجه في تناول الآيات**، كربط تفسير الآية بنظائرها الموضوعية، كما في تفسير: [البقرة: ٢٤٥]، [النساء: ١١]، [الأنعام: ٦، ٥٦، ١٤١]، [الأعراف: ٩٦، ١٥٧]، [الإسراء: ٢٦، ٢٧]، بما يشبه التفسير الموضوعي، أو ربط تفسير الآية بالعلوم الحديثة، كما في تفسير: [الأعراف: ٥٨]، [الرعد: ٤]، بما يمكن تأطيره تحت التفسير العلمي، أو ذكّر اختلاف أقوال المفسرين والترجيح بينهم، كما في تفسير: [التوبة: ٣٤]، أو المقارنة بين التشريع الإسلامي والنظم الوضعية، كما في تفسير: [الزخرف: ٣٢]، بما يدخل تحت التفسير المقارن، وقد يتجه في تفسيره إلى التفسير الدعوي، كما في تفسير: [آل عمران: ١٤]، [الأنفال: ٦٠]، [الزخرف: ٣٢]، وقد يكتفي بالتفسير الإجمالي، كما في تفسير: [الحديد: ٧].

### المبحث الثاني: منهج الاستدلال للتأصيل لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها:

تنوعت الأصول التي اعتمد عليها دكتور رفيق، ومن أبرزها:

١ . **الاستدلال بالقرآن الكريم**: أخذ استدلاله بالقرآن مناح من أبرزها:

- **الاستنباط من الآيات**: ذكر في تفسير سورة فصلت [الآية: ١٠] أن هذه الآية مع آية سورة الزخرف [الآية: ٣٢] تعدان أساساً للنظرية الاقتصادية الحديثة في التجارات الخارجية الدولية. واستنبط من [الآية: ٦٠] من سورة التوبة دراسة الجدوى الاقتصادية للزكاة.

- **النسخ في القرآن**: ذكر من أقوال المفسرين في بيان قوله ﷺ: «وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» [النساء: ٦] أن الآية منسوخة، وعليه لا يأخذ الولي من مال اليتيم شيئاً، لا أكلاً ولا لبساً ولا أجرة ولا قرضاً، لا سفرًا ولا حضراً<sup>(١)</sup>، وأقر القول بنسخها بآيات بيّنها.

وقد اختلف العلماء في كون الآية منسوخة بقوله ﷺ: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا» [النساء: ١٠] أم محكمة، والصواب أنها محكمة؛ لأن الله ﷻ أحل له أن يأكل منها بالاقتصاد عند الفاقة، بمقدار عمله، أو بمقدار حاجته، فقال ﷺ: «فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» وهو الجائز الحسن، وهو مخالف للوعيد في قوله ﷺ: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى

ظُلْمًا»، فالظلم ليس ناسخًا للمعروف، بل هذا تأكيد لتجويزه؛ لأنه خارج عنه مغاير له؛ وإذا كان المباح غير المحظور لم يصح دعوى نسخ فيه<sup>(١)</sup>. فنقله القول بالنسخ كان بحاجة إلى مناقشة، وبيان الراجح. في حين ذكر في تفسير قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢] أن هذه الصدقة نسختها الزكاة، ويُعلق بقوله: "وقد يكون في النسخ نظر"، وفسر الآية لغويًا، وذكر سبب نزولها، وحكمها التكليفي، مع تفسير موضوعي بجمع الآيات اللازمة لتفسيرها، واستنبط من الآية فرض غرامة على المدين المماطل، بناءً على كونها محكمة غير منسوخة<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب لعدم وقوع النسخ أبو مسلم الأصبهاني<sup>(٣)</sup>، لكن الآية منسوخة، لقول علي بن أبي طالب عليه السلام: "إِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ لآيَةً مَا عَمِلَ بِهَا أَحَدٌ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي، آيَةُ النَّجْوَى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢]... ثُمَّ نُسِخَتْ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ [المجادلة: ١٣]"<sup>(٤)</sup>. وعلى هذا أكثر العلماء، وقال ابن العربي: "نزلت النجوى، ثم نسخت بعدها، وغير ذلك من الأقوال باطلة"<sup>(٥)</sup>. فالقول بعدم وقوع النسخ وبناء أحكام عليه كان بحاجة إلى مزيد من البحث.

٢. الاستدلال بالحديث النبوي: احتج دكتور رفيق بالسنة النبوية القولية والفعلية والتقريرية، ومن ذلك استدلاله بحديث: "أَعْقَلُهَا وَأَتَوَكَّلُ"، وحديث: "لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرزُقُ الطَّيْرَ"<sup>(٦)</sup>، على أن التوكل لا يعني ترك العمل.

لكن يشوب استدلاله بالسنة أمور، منها: الاستشهاد بروايات ضعيفة الإسناد، فقد استدل بقول النبي ﷺ: "ما أسكر كثيره فقليله حرام" وعزاه لسنان أبي داود فقط<sup>(٧)</sup> على الرغم من ضعف رواية سنن أبي داود؛ لأن في إسناده داود بن بكر بن أبي الفرات<sup>(٨)</sup>، مع تعدد طرق الحديث صحيحة الإسناد في المصنفات الأخرى<sup>(٩)</sup>، فكان الأحرى به العزو إلى مصنف ذي سند صحيح.

(١) راجع: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (٢٤٦/١)، أحكام القرآن لابن العربي (٤٢٣/١)، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لابن العربي (١٤٤/٢).

(٢) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٢٤٣-٢٤٦.

(٣) مفاتيح الغيب (٤٩٦/٢٩). وأبو مسلم الأصبهاني هو محمد بن علي بن مهربزد، أديب ومفسر ونحوي، ولد في سنة ست وستين وثلاثمائة، وصنف التفسير في عشرين مجلداً، مات في سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وهو معتزلي غال في الاعتزال، يرى أن ليس في القرآن ناسخ ولا منسوخ، راجع: البحر المحيط في التفسير (٤٥٥/٣)، طبقات المفسرين للداودي ص ٢٣١ رقم ١٦٠، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٩٨، رقم ٩٥.

(٤) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير: تفسير سورة المجادلة (٢/٥٢٤ ح ٣٧٩٤). وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٥) راجع: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص ٧٠٠)، الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٣٨٢/٢).

(٦) سبق تخريجهما.

(٧) التفسير الاقتصادي ص ١١.

(٨) سنن أبي داود: كتاب الأشربة: باب النهي عن المُسْكَر (٥/٢٣٠ ح ٣٦٨١). وداود بن بكر بن أبي الفرات قال فيه أبو حاتم الرازي: "ليس بالمتن"، وقال ابن حبان: "كان يهيم في الشيء بعد الشيء"، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤٠٨/٣)، مشاهير علماء الأمصار (ص ٢١١).

(٩) ومنها روايات: مسند أحمد: مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (١١/١١٩ ح ٦٥٥٨)، سنن الترمذي: أبواب الأشربة عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء ما أسكر كثيره فقليله حرام (٤/٢٩٢ ح ١٨٦٥ ت شاكراً)، سنن ابن ماجه: كتاب الأشربة: باب ما أسكر كثيره، فقليله حرام (٢/١١٢٤ ح ٣٣٩٢).

ونسبة أقوال الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم واستنباط أحكام منها، كقوله: لعل هذا المعنى مستنبط من حديث: "اتَّجَرُوا بِأَمْوَالِ الْيَتَامَى لَا تَأْكُلْهَا الزَّكَاةُ". فالزكاة إنفاق خيري، والإنفاق على اليتيم إنفاق شخصي<sup>(١)</sup>، وهذا الحديث روي مرفوعاً بلفظ: "أَلَا مَنْ وَلِيَ يَتِيمًا لَهُ مَالٌ فَلْيَتَّجِرْ فِيهِ، وَلَا يَتْرُكْهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الصَّدَقَةُ"<sup>(٢)</sup>، لكنه لم يثبت، والمحفوظ من قول عمر رضي الله عنه موقوفاً، بسند إليه: "ابْتَعُوا بِأَمْوَالِ الْيَتَامَى لَا تَأْكُلْهَا الصَّدَقَةُ"<sup>(٣)</sup>. فهذا الأثر إنما يصلح دليلاً لمن يحتج بقول الصحابة رضي الله عنهم، وليس استدلالاً بالسنة.

**٣. الاستدلال بالإجماع:** ذكر دكتور رفيق أن قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] نزل في سلم أهل المدينة خاصة، لكنه عام في جميع المداينات إجماعاً؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب<sup>(٤)</sup>، وبهذا أصل للحكم بالاحتجاج بالإجماع، مع ذكر مستنده، لكنه لم ينقل هذا الإجماع عن أحد من أهل العلم، على الرغم من وفرة المصنفات المعنية بنقل الإجماع الذي لا ينبغي أن يخالف. وقد نقل الإجماع غير واحد من فقهاء الحنابلة والمالكية والشافعية والحنابلة على عموم هذا الحكم في الدين<sup>(٥)</sup>، ومستندهم أن بالناس حاجة إليه<sup>(٦)</sup>. لكنهم لم يجعلوه عامّاً في جميع المداينات كما ذكر، بل نصوا على أنه لا يصح إلا بشروط، منها أن يكون مما يمكن ضبط صفاته، التي يختلف الثمن باختلافها ظاهراً، كالمكيل والميزان<sup>(٧)</sup>، فتعميم الحكم في كل دين ليس دقيقاً، كما أن تعبيره بلفظ "المداينات" جمع مداينة وهي مفاعلة بين طرفين، أي أن على كل منهما دين للآخر، يُغيّر الحكم من المشروعية التي وقع عليها الإجماع إلى الحظر، فقد نقل ابن المنذر الإجماع على أن بيع الدين بالدين لا يجوز<sup>(٨)</sup>، وبهذا فالإجماع وقع على خلاف ما قاله.

**٤. الاستدلال بالقياس:** أشار دكتور رفيق في تفسيره للآية السادسة من سورة النساء والآية الثانية والخمسين بعد المائة من سورة الأنعام إلى أن إدارة أموال اليتامى تشكل أساساً لإدارة أموال الأوقاف وإدارة الأموال العامة وبيت المال<sup>(٩)</sup>. فكما ورد في الشريعة نصوص وأحكام بشأن والي مال اليتيم، وعيّنت وضعه الحقوقي ومسئوليته وصلاحيته، يقاس على أحكام الوصي والوصاية أحكام الوقوف للشبه المستحکم بين الوظيفتين.

- (١) التفسير الاقتصادي ص ٦١.
- (٢) سنن الترمذي: أبواب الزكاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: باب ما جاء في زكاة مال اليتيم (٢٣/٣-٦٤١ ت شاکر)، وسنده ضعيف، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٢٥٨/٣-٧٨٨).
- (٣) مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الزكاة: ما قالوا في مال اليتيم زكاة ومن كان يزكيه (٢/٣٧٩-١٠١١٩)، سنن الدارقطني: كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة في مال الصبي واليتيم (٦/٣-١٩٧٣)، السنن الكبرى للبيهقي: كتاب الزكاة: باب من تجب عليه الصدقة (٨/٨٨-٧٤١٥).
- (٤) التفسير الاقتصادي ص ٣١.
- (٥) راجع: فتح القدير للكمال ابن الهمام (٧/٧)، المقدمات الممهدة (٢٢/٢)، بحر المذهب للرويانى (١٠٩/٥)، الشرح الكبير على متن المقنع (٤/٣٦٨).
- (٦) المغني لابن قدامة (٤/٢٠٧).
- (٧) الشرح الكبير على متن المقنع (٤/٣١٢).
- (٨) راجع: الإجماع لابن المنذر (ص ٩٦).
- (٩) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٦٦، ص ٨٤.

واستدل بقول الله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] على أن تعجيل الحساب يعني تعجيل الأجر، والتعجيل يزيد في قيمة الأجر إذا تساوى المعجل والمؤجل في المبلغ، فللزم من قيمة وحصة من الثمن، والسلعة التي ثمنها مائة نقدًا جاز أن يكون ثمنها أكثر من مائة مؤجلًا، وبنى عليه أنه يمكن تطبيق هذا على غير الثمن، كأجر العمل وريع الأرض<sup>(١)</sup>. وبهذا استخدم القياس للتأصيل لما ذهب إليه.

**٥. الاستدلال بالمصلحة:** يذكر دكتور رفيق المنافع والمضار المترتبة على الأحكام أحيانًا، بما يكفل تحقيق أبعاد التنمية المستدامة وأهدافها، في إطار يقرب من التأويل المقاصدي، كما في تفسير: [آل عمران: ١٢٢]، [النساء: ٣٢]، [الزخرف: ٣٢]، وظهر ذلك واضحًا في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] حيث عدد منافع الخمر ومضارها، لكنه نقل ما سَطَّرَ في كتب التفسير من منافع الخمر من غير عزوها إلى قائلها، ومن غير نقد أو تمحيص.

فقد ذكر المفسرون من منافع الخمر الاكتساب والربح بالتجارة فيها، وتلذذ النفوس وطربها ونشاطها لتناولها، وانتفاع الأبدان باستمراء الطعام وإصلاح المعدة<sup>(٢)</sup>. وأثبت الطب الحديث أن الخمر تضر الأبدان، وأن نفعها للبدن أقل بكثير من أضرارها<sup>(٣)</sup>، فالقول بأنها تقوي المعدة ضعيف.

ومنفعة طرب النفس وما يبدو من تنبيه أولي عند بدء شرب الخمر، من مظاهر تثبيطها للمراكز العليا في المخ، حين تؤثر على قشرة الدماغ، فتعمل على خلل في المحاكمة، وزوال الروادع الذاتية، التي تسيطر على السلوك المخالف، فيحس متعاطيها بالنشوة<sup>(٤)</sup>، فليس الطرب والسعادة حقيقيين، وإنما هما لبدء غياب الوعي، فمنافع الخمر المشار إليها في الآية ليست اللذة والاستمراء، لكنها في التكبس والاتجار فيها، وهذا ليس ربًّا حقيقيًّا؛ لأنه أكل لأموال الناس بالباطل، وقد نهى الله عنه، بقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩]، فالإنسان يبذل ماله في مقابل تحصيل ما ينفعه، وليس ما يضره.

(١) السابق نفسه ص ٥٢. وذكر معنى قريبًا من هذا في تفسير قوله ﷻ: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] راجع: ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) راجع: تفسير السمعاني (٢١٩/١)، زاد المسير (٢٤١/١)، فتح القدير (٢٢٠/١).

(٣) فمن تأثيراتها السلبية على الإنسان: إحداث تلف في أنسجة الدماغ، وقرحة في الجهاز العصبي، وزيادة نسبة الكوليسترول في الدم؛ مما يسبب جلطة وتصلبًا في الشرايين، والتهاب وورم وفشل الكبد والبنكرياس، والتهاب وقرحة ودوالي وورم: المريء والمعدة والأمعاء، وإعاقة الانتباه، وخفض درجة الذكاء، وتسمم الغدة النخامية، واضطراب إفرازها الهرموني، راجع: National Institute on Alcohol Abuse and Alcoholism.

Alcohol alert. In: The Genetics of Alcoholism, July 2003:60:1-5

(٤) انظر: التأصيل الشرعي للخمر والمخدرات (ص ٣٢، ٣٣).

ومنافع الخمر كانت قبل تحريمها، والإثم بعد التحريم<sup>(١)</sup>، فقول الله ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ أول آية نزلت في شأن الخمر<sup>(٢)</sup>، وكان العرب مدمني خمر، ويصعب عليهم نزول تحريمها مرة واحدة؛ فمن الحكمة التدرج في التشريع، ببيان أن فيها إثمًا كبيرًا مع المنافع التي تبدو لهم، ثم نزول الآيات تبين أضرارها الدينية والدينية، كقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، ثم نزل قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ وبعد نزول الآية الأخيرة المحرمة للخمر، لا يجوز الاتكاء على الآية الأولى لإباحة الخمر وذكر منافعها.

٦. الاستدلال بقول الصحابة ﷺ: استدلت دكتور رفيق بأقوال الصحابة وأفعالهم ﷺ في تفسير

عدد من الآيات، كما في [التوبة: ٣٤]، [الإسراء: ٣٦]، [القصص: ٧٧]، [الحشر: ٧].

٧. الاستدلال بشرع من قبلنا: استدلت دكتور رفيق بشرع من قبلنا استدلالاً موفقاً، حيث بين

في تفسير [النساء: ١٦١] إجماع كافة الشرائع على الحكم، وبيّن في تفسير [الصفات: ١٣٩-١٤١] ما أقره شرعنا وما خالفه، وأظهر اختلاف شرعنا عن شرع من قبلنا في تفسير [الأنبياء: ٧٨].

**المبحث الثالث: تقييم تأصيل التفسير الاقتصادي لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها:**

لا يخلو عمل بشري من مميزات وعيوب، فقد أبى الله ﷻ أن يكون الكمال المطلق إلا له ﷻ،

لذا أجد في التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم مزايا جديرة بأن أشيد بها، وفيه مواضع قصور بحاجة إلى إكمال، وأخطاء تستحق أن تُصَوَّب.

**أولاً: من مزايا تأصيل التفسير الاقتصادي لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها:**

١. الاهتمام بالبعد الأخلاقي للتنمية المستدامة: ظهر هذا في تناول عدة موضوعات، منها:

**الصبر والتنمية المستدامة:** نبّه دكتور رفيق في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] على أهمية التواصي بالحق في بناء الأمة المتحضرة واستمرارها، وأشار إلى أن الصبر والمصابرة على العلم والبحث العلمي والمنافسة، من أهم القيم التي يجب التحلي بها في رحلة الحياة والحضارة، ومعركة التنمية والتقدم<sup>(٣)</sup>. واستعان في تفسير الآية بالتفسير النحوي، والتفسير بالحديث النبوي، وذكر آيات أخرى في الموضوع.

**الحسد والتنمية المستدامة:** نفّر دكتور رفيق في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ

اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] من أن يتمنى المرء ما خصّ الله ﷻ به غيره، من المال والأهل والفضل والمنازل؛ فالنعمة التي يتمتع بها الآخرون قد تكون سبب هلاكهم، وعلى العبد أن

(١) راجع: التسهيل لعلوم التنزيل (٧٩/١).

(٢) راجع: مسند أحمد: مسند عمر بن الخطاب ﷺ: (٣/١ ح ٣٧٨)، وصحح شعيب الأرنؤوط.

(٣) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٢٩٩.

يرضى بما قسم الله ﷻ له، وإلا وقع الحسد، وما يترتب عليه من مفسد أكل الأموال بالباطل، وقتل النفوس، وفساد الدين والدنيا، والبغي بغير حق، وقطع المودة والمحبة والموالاة، وذكر بقول الله ﷻ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]، فمن أراد أن يكون مثل شخص، فليسلك سبيله، ويبدل وسعه، من غير أن يتمنى زوال نعمته<sup>(١)</sup>، وبهذا فسر القرآن بالقرآن، وركز على المقصد من التشريع، في أسلوب وعظي، وأصل للهدف الثامن من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وهو تعزيز النمو الاقتصادي المستدام، والتوظيف الكامل المنتج والعمل اللائق للجميع.

**الذنوب والطاعات والتنمية المستدامة:** ذكر دكتور رفيق في تفسير قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦] أن إهلاك الأمم بذنوبها ليس من باب الغيبيات فقط، بل يدخل في الشهود والتحليل العلمي، إذا قصر الناس في السعي والجد والاجتهاد والإنتاج والعلم، وشاعت بينهم الذنوب والمنكرات والانحرافات والفساد والظلم، وانحطت القيم والأخلاق، وانحل التعليم وتدهورت الصحة، وانتشر السرف والترف، كما قال ﷻ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]<sup>(٢)</sup>. وبهذا حذر من أخطر معوق للتنمية المستدامة، وهو الهلاك بالذنوب، وفسر القرآن بالقرآن في إطار موضوعي.

وكذا فسر قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] تفسيراً موضوعياً، بذكر الآيات في معناه، وقرر أنهم لو أطاعوه ﷻ لفتح عليهم أبواب الخيرات، ببركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار والأنعام، وحصول الأمن والسلامة، فأصل الدين يقتضي سعادة الدنيا قبل الآخرة، لكن قد يُمتحن المؤمنون بضيق العيش ويكون تكفيراً لذنوبهم<sup>(٣)</sup>. وفي الالتزام بهذه الآية تحقيق لمعظم أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م.

(١) راجع: السابق نفسه ص ٦٧. وأصل الكلام في جامع البيان (٨/٢٦٣، ٢٦٤)، مفاتيح الغيب (١٠/٦٥). وذكر هذا

الموضوع في تفسير آيات أخرى، كقوله ﷻ: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [العلق: ٥] راجع: (ص ٣٠٥، ٣٠٦).

(٢) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٧٧، ٧٨، ١٥٢، ١٥٣. وذكر مثل هذا في تفسير آيات أخرى، كقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُنْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ٦] راجع: ص ١٥٥، ١٥٦، وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ\* إِرْمَ دَاتِ الْعِمَادِ\* الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٦-٨] راجع: ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٩٢، ٩٣. وأصل الكلام في: مفاتيح الغيب (٤/٣٢٢)، الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٥٣)، تفسير المنار (٩/٢٤).



ويؤكد هذا المعنى في تفسير قوله ﷺ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨] حيث أزال الخوف بالعيلة، مع تعليم رعاية الأدب مع الله ﷻ، بأن يكون الإنسان أبداً متضرعاً إلى الله ﷻ في طلب الخيرات ودفع الآفات؛ لأن حصول الغنى المذكور في الآية لا يكون في كل الأوقات وفي جميع الأمور<sup>(١)</sup>. واستدل على ما قال بالقرآن والسنة، وأصل للهدف الأول والثاني بإنهاء الفقر، والقضاء على الجوع، والهدف الثالث وهو تعزيز الرفاهية للجميع.

**القسط والتنمية المستدامة:** عرض دكتور رفيق في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥] أنواعاً من البخس المادي والمعنوي، وحكمه ومساوئه<sup>(٢)</sup>. ونقل قول ابن عاشور بأن هذا التشريع أصل من أصول رواج المعاملة بين الأمة؛ لأن المعاملات تعتمد الثقة المتبادلة الحاصلة بشيوع الأمانة، مما يؤدي إلى توفر السلع في الأمة، واستغنائها عن اجتلاب أقاتها وحاجياتها وتحسينياتها، فيقوم نماء المدينة والحضارة على أساس متين، ويعيش الناس في رخاء، وبضد ذلك يختل حال الأمة<sup>(٣)</sup>، وقد أشار إلى الآيات التي تتفق مع الآية في موضوعها، واعتمد التفسير اللغوي بتوضيح الدلالة وشيء من الإعراب.

ونقل قول البقاعي بأن النهي عن بخس الجمع وفيهم قوة المدافعة، نهى عن بخس الواحد من باب الأحرى، لأن الشرائع إنما جاءت بتقوية الضعيف على حقه<sup>(٤)</sup>، وبهذا استخدم القياس وأصل للهدف العاشر من أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، وهو تخفيض عدم المساواة داخل الدول وفيما بينها، والهدف السادس عشر، وهو السلام والعدالة، بالحرص على توفير السلام لجميع المجتمعات وتوفير فرص العدالة، وكذا الأول والثاني بإنهاء الفقر، والقضاء على الجوع، والثالث بتعزيز الرفاهية للجميع.

## ٢. إبراز بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم، ومنها:

**الإعجاز التشريعي:** أشار دكتور رفيق في تفسير قوله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] إلى سبق تشريعي في مجال علم الاقتصاد، وتحديد قيمة العاجل والمؤجل<sup>(٥)</sup>. هذا على الرغم من أن الآية إخبار، وليس فيها أمر أو نهى.

**الإعجاز البلاغي:** تساءل دكتور رفيق عند تفسير قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥] لماذا قال ﷻ:

- (١) راجع: التفسير الاقتصادي ص ١٠١. وأصل الكلام في: مفاتيح الغيب (٢٣/١٦).
- (٢) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٩٠، ٩١. وأصل الكلام في: مفاتيح الغيب (٣١٤/١٤)، التحرير والتنوير (٨-ب/٢٤٣)، تفسير المنار (٤٦٩/٨).
- (٣) راجع: التحرير والتنوير (٨-ب/٢٤٤).
- (٤) راجع: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٦٠/٧).
- (٥) راجع: التفسير الاقتصادي ص ٥٣.

﴿أَمْوَالِكُمْ﴾ ولم يقل: (أَمْوَالَهُمْ)؟ ونقل قول ابن العربي بأن الأموال أضيفت إلى الأولياء؛ لأن الأموال مشتركة بين الخلق، تنتقل من ملك إلى ملك، وقول الطاهر بن عاشور بأنه إشارة إلى أن المال الراجح بين الناس، هو حق لمالكيه المختصين به في ظاهر الأمر، لكن فيه حقوق الأمة جمعاء؛ فكلها ينتفع بحصوله، وثروة بعض أفرادها تعود إلى الجميع بالصالحه، وعلق بأن المعنى: أموالهم التي لكم فيها حقوق، صارت كأنها أموالكم ما داموا سفهاء<sup>(١)</sup>. وقد تعددت أقوال المفسرين في بيان البلاغة في قوله ﷺ: ﴿أَمْوَالِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وذكروا وجوهاً كثيرة غير ما ذكر.

٣. الوفاء بالشروط التي يجب توافرها لتحقيق التنمية المستدامة: ظهر اعتناء دكتور رفیق بذلك من خلال دعوته إلى أمور، منها: زيادة مستمرة في الناتج القومي، وتوفير أيدي عاملة مدربة، وتراكم الثروة لزيادة الاستثمارات، وتنمية المبادلات الخارجية. فالزيادة المستمرة في الناتج تؤدي إلى تحسين في مستوى المعيشة، ناتج عن تغير في ظروف الإنتاج، وتضمن استمرارية في تدفق الإنتاج السلعي، مع ظهور صناعات جديدة، صالحة للمنافسة في الأسواق العالمية، وتوفير الأيدي العاملة المدربة يستلزم الاهتمام بالقطاع التعليمي، بالتوفيق بين التكوين النظري والتكوين التقني والتطبيقي، لأن التعليم الممول الأساسي لسوق العمل، والقاعدة المتينة للنجاح في المجال الصناعي.

٤. اقتراح موضوعات بحثية جديدة: كقوله: الألعاب الرياضية لا بد لها من دراسة شرعية<sup>(٣)</sup>، ونص على حاجة عدة موضوعات للبحث في مواضع متفرقة.

٥. استخدام أساليب للإقناع من خلال الواقع لتحقيق التنمية المستدامة، ومنها: استخدام التفسير الدعوي وتنزيل الآيات على الواقع، والتفسير بالعلوم التجريبية والمعاصرة: كأقوال الأطباء، والتفسير بعلم الاقتصاد، وعلم المحاسبة والحساب<sup>(٤)</sup>، ومن ذلك في تفسير قوله ﷺ: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤] ذكر أنها تقع ضمن المقولات الوصفية التي يقوم عليها علم الاقتصاد (التحليل الاقتصادي، النظرية الاقتصادية) وتعني: الأحكام الكونية أو القدرية<sup>(٥)</sup>.

(١) راجع: أحكام القرآن لابن العربي (٤١٦/١)، التحرير والتنوير (٢٣٤/٤)، التفسير الاقتصادي ص ٥٨.

(٢) فقيل: إنما أضاف إليهم؛ لأنها الجنس الذي جعله الله ﷻ أموالاً للناس، وقيل: أضافت إلى الأولياء لأنها بأيديهم وفي تصرفهم وتحت ولايتهم، وقيل: لملائمة الآيات المتقدمة والمتأخرة، وقيل: ليؤذن بترتب الحكم على الوصف، فإن وصفهم بالسفاهة ناسبه أن لا يختصوا بشيء من الملكية؛ وقيل: مبالغة في حمل الأولياء على المحافظة عليها، وقيل: للتنبيه على تكافل الأمة في حقوقها ومصالحها، فمصلحة كل فرد فيها، كأنها مصلحة للآخرين، وقيل: فيها تقرير لغريزة الملكية، وما لها من آثار في تصرفات الإنسان، وقيل: فيه تنبيه إلى أنه إذا ضاع هذا المال وجب على الولي أن ينفق عليه من مال نفسه، فإضاعته مفضية إلى إضاعة شيء من مال الولي، فكأن ماله عين ماله، راجع: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦٢/١٠)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢٢٦/٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٦٠/٢)، نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار (١٢٨/٣)، روح البيان (١٦٥/٢)، تفسير المنار (٣٣/٥)، من بلاغة القرآن (ص ٢٥٩)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣٩٢/٥).

(٣) راجع: التفسير الاقتصادي ١٧٨.

(٤) السابق نفسه ص ١٦، ١٧، ٢٢، ٣٠، ٥٢.

(٥) السابق نفسه ص ٤٤.

ثانياً: من المآخذ على تأصيل التفسير الاقتصاد لأبعاد التنمية المستدامة:

- المبالغة في التأثر بالفكر المعاصر وإهمال التراث أحياناً: في تفسير قول الله ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠] لم يعرض دكتور رفيق لسبب نزول الآية، ولا لتفسيرها التقليدي، وكان الكلام عن تحريم وأد البنات عفا عليه الزمان، فلا يناسب الكلام عنه العصر الحاضر -الذي ينادي بتمكين المرأة - واكتفى بذكر تقرير الآية لتكلفة الأرباح والخسائر، فقوله ﷻ: ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾ يدل على أنهم تحملوا تكلفة الضلال (تكلفة المفسدة في ذاتها)، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ يدل على أنهم تحملوا تكلفة فوات الهداية (تكلفة المفسدة في غيرها: فوات المصلحة البديلة)<sup>(١)</sup>، وأرى أن ذكره للأرباح والخسائر لو ربطه بسياق الآيات لكان بيانه أقوى وقيمه أعظم، إذ فيه بيان لدور الإسلام في إنقاذ المرأة من حرمانها من حق الحياة نفسها، وليس من حقوقها المادية والمعنوية، فالآية بيّنت خسران من يظلم المرأة، وفاته إيضاح هذا البيان وإبراز مقاصده.

- الإفراط في تغليب الحسن النقدي: امتاز دكتور رفيق بملكة نقدية عالية؛ فتكررت في تفسيره عبارات قوية في انتقاد التراث الإسلامي، وتخطئة أئمة التفسير الكبار، كالزمخشري والرازي ورشيد رضا والطاهر بن عاشور وغيرهم، كقوله: (خطأ المنار)، و(قوله هذا غير صحيح)، (لا أوافق على هذا)<sup>(٢)</sup>، كما انتقد كتاب الاقتصاد الإسلامي المعاصرين بقوله: "خلافًا لما يدعيه بعض الكاتبين في الاقتصاد الإسلامي"<sup>(٣)</sup>، وانتقد واقع بعض البلدان الإسلامية<sup>(٤)</sup>...

وقد يُوافق انتقاده الصواب، كانتقاده لسوء فهم النصوص، وقوله عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢] وليس معنى كلام أهل اللغة أن تتكل بلا عمل ولا اتخاذ أسباب<sup>(٥)</sup>. وبهذا انتقد الاقتصاد على الفهم اللغوي للقرآن، وأيد قوله بالحديث النبوي.

لكن اجتهاداته الانتقادية أفرزت آراء فريدة غريبة، قد يخالف الصواب فيها، ومن هذا: ذكر في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ تُبْتِغْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩] تحت عنوان: "تصحيح وتخطئة" أنه يصح معنى ﴿لَا تَظْلُمُونَ﴾ بالزيادة على رأس المال (زيادة مشروطة)، ولا يوافق على معنى ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالنقصان، ورأى أن الصواب في ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالثواب، وصرح أن هذا الرأي معنى جديد لم يجده عند المفسرين، واحتج لقوله بالواقع<sup>(٦)</sup>. وفي رأيه هذا نظر؛ لأن الظلم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه المختص به تعدياً، إمّا بنقصان أو زيادة،

(١) راجع: السابق نفسه ص ٨٠.

(٢) راجع: السابق نفسه ص ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٨٤، ٨٥.

(٣) راجع: السابق نفسه ص ٤٤.

(٤) راجع: السابق نفسه ص ٥٠.

(٥) السابق نفسه ص ٤٦.

(٦) السابق نفسه ص ٢٩.

وإِذَا بَعُدَ عَنْ وَقْتِهِ أَوْ مَكَانِهِ<sup>(١)</sup>، ففيه مجاوزة للحد والحق، وهذا وصف لا يناسب الثواب، فالثواب فضل من الله ﷻ يعطيه ويضاعفه لمن يشاء، والله تبارك وتعالى لا يظلم مثقال ذرة، وسياق الآية لا يحتاج إلى إيضاح نفي الظلم عن الله ﷻ، كما أن الظلم في القرآن الكريم جاء على معان عدة، كالشرك والذنوب والبغى والنقص<sup>(٢)</sup>، ونفي هذه المعاني لا وجه له، وفيه تخصيص لمعنى يسع دلالات عدة بلا مسوغ، أضف إلى هذا أن فيه حصرًا للظلم فيما بين الرب والعبد، بينما يحصل الظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وبين العبد وبين الناس، وبينه وبين نفسه.

وفي تفسير قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠] ينتقد قول الزمخشري وابن حبان بأنه عدل عن اللام إلى «في» في الأربعة الأخيرة؛ للإيدان بأنهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق ذكره... وتكرير (في) في قوله ﷻ: (وفي سبيل الله وابن السبيل) فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين<sup>(٣)</sup>، قائلًا: وفيه تكلف لا أوافقهما عليه، بخلاف ما قاله صاحب المنار، ورجح أن في الآية مصرفين بـ(في) فقط والستة الباقية باللام<sup>(٤)</sup>. وأرى أن هذا الحكم بالتكلف وعدم الموافقة عليه خطأ؛ لأنه إن كان تكلفًا اليوم فهو واقع في عهد نزول الوحي. وقوله في (في، واللام) مردود لأن اللام التي للتملك تدل على أن الصدقة في الرقاب والغارمين ليست تمليكيًا لهما، بل قد يأخذها مالك الرقبة وصاحب الدين، وكذا في سبيل الله ليس تملكًا، وابن السبيل ماله منفق في السبيل.

وفي تفسير قوله ﷻ: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ [هود: ٦١] يفسر تفسيرًا لغويًا، ومنه قول القرطبي: أعماركم أو أسكنكم فيها، أو أطال أعماركم، وأعاشكم فيها، أو أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن، وغرس أشجار، أو ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها، أو طلب منكم عمارتها، والطلب المطلق من الله ﷻ على الوجوب<sup>(٥)</sup>، لكنه ينقل عن القرطبي أنه قال: وفيها دليل على العُمري، وهي تمليك المنفعة مدة عمر المنتفع، وينتقده بأن للكلمة معاني أخرى، وعمر الناس جميعًا غير عمر الواحد، والآية لا يراد بها عقود البشر ومعاملاتهم<sup>(٦)</sup>، لكنه لم يوفق في انتقاده للإمام القرطبي؛ لأن الإمام القرطبي إنما قال: "وكذلك العمرى قياسًا"<sup>(٧)</sup>، أي أنه لم يجعل الآية دليلًا صريحًا كما ادَّعى، ولكن يدخل حكم العمرى بالاجتهاد.

- **تغافل موضوعات وثيقة الصلة بتحقيق التنمية المستدامة، ومنها:** البحث عن أساليب لتلبية الحاجات دون إضرار بالبيئة، وتقليل النفايات ومعالجتها، لتفادي آثارها الملوثة للمياه

(١) مقاييس اللغة (٤٦٨/٣)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥٤١/٣).

(٢) راجع: [الكهف: ٣٣]، [لقمان: ١٣]، [الصفوات: ١١٣]، [الشورى: ٤٢].

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢٨٣/٢)، البحر المحيط في التفسير (٤٤٥/٥).

(٤) التفسير الاقتصادي ص ١١٢.

(٥) راجع: الجامع لأحكام القرآن (٥٦/٩).

(٦) راجع: التفسير الاقتصادي ص ١٢٩، ١٣٠.

(٧) راجع: الجامع لأحكام القرآن (٥٧/٩).

السطحية والجوفية، والتربة وأمراضها وأوبئتها، وتنظيم السلوك الإنساني، والبعد عن التلوث الاجتماعي، والحث على الترابط الأسري المساعد على تعاضد المجتمع وقوته وتماسكه واستدامته، وتحقيق النفع العام....

- **قصور في منهج استدلاله بالحديث النبوي:** وظهر هذا في أمور منها: الخلط في تخريج

الأحاديث: أشار إلى حديث لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةَ، وذكر بائعها ومبتاعها، وعزاه لسنن الترمذي، ولفظه مخالف لرواية الترمذي: "عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا، وَالْمُشْتَرِيَ لَهَا، وَالْمُشْتَرَاهُ لَهُ"<sup>(١)</sup>، بينما ورد لفظ: "وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا" عند ابن ماجه<sup>(٢)</sup> وغيره.

وذكر ألفاظ لا وجود لها في دواوين السنة وعزوها للصحاح، كحديث: "لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِبَمْرَةٍ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ، إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ بِبِمِينِهِ، فَيُرَبِّبُهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ قَلْوَهُ، أَوْ قَلْوَصَهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ، أَوْ أَعْظَمَ"<sup>(٣)</sup>، ذكره بمعناه وتصرف فيه وزاد عليه: "وإن اللقمة على قدر أحد"<sup>(٤)</sup> وعزاه لمسلم، وهذه الزيادة لا أصل لها.

- **ذكر قراءات والتفسير على خلافها:** فرق بين صيغ الإفراد والجمع في قول الله ﷻ:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] حيث أشار إلى أنه قد يفهم من إفراد الإثم وجمع المنافع أن المضرة الواحدة غير المتعددة قد تكون أعظم حجماً من المنفعة المتعددة<sup>(٥)</sup>، وبهذا قد تغاضى عما أورده من أن في الآية قراءات أخرى ﴿إِثْمٌ كَثِيرٌ﴾<sup>(٦)</sup>، فالإثم الواحد قد يكون كثيراً، كما أن الإثم وإن كان مفرداً لا يُنظر لإفراده، بل لكونه خطيئة ووزر وذنب ومَعْصِيَةٌ لَللَّهِ ﷻ، وهذا يُضخمه وإن كان واحداً.

- **اضطراب طريقته في التعامل مع لغة النصوص:** فبينما يُهدر التفسير اللغوي المعجمي في

الفرق بين الفقير والمسكين، ويраهما مترادفين<sup>(٧)</sup>، فاته في تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿أَنْطَعُمْ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ [يس: ٤٧] ذكر أن الإطعام لا يعني الأكل فحسب، فالإكساء والإسكان وإيصال الخدمات الضرورية كالصحة للفقراء، تدخل في حكمه عرفاً، وإن لم تنص اللغة على ذلك.

- **قصور في عزو الأشعار إلى قائله، كقوله قال الإمام الشافعي<sup>(٨)</sup>:**

أُنلني بالذي استقرضت خطأ \*- \*- \* وأشهد معشراً قد شاهدوه

(١) سنن الترمذي: أبواب البيوع عن رسول الله ﷺ: باب النهي أن يتخذ الخمر خلا (٣/٥٨١ح ١٢٩٥).

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب الأشربة: باب لعنت الخمر على عشرة أوجه (٢/١١٢١ح ٣٣٨٠).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٢/٧٠٢ح ١٠١٤).

(٤) التفسير الاقتصادي ص ٢٧.

(٥) السابق نفسه ص ١١.

(٦) السابق نفسه ص ١١، وهي قراءة حمزة والكسائي، السبعة في القراءات (ص ١٨٢).

(٧) راجع: التفسير الاقتصادي ص ١١٦، ١١٧.

(٨) السابق نفسه ص ٣٠.

والبيت مختلف في قائله، حيث نسب لعلی بن أبي طالب ﷺ، وللحسين بن الحسين الواساني الدمشقي، ولإمام الشافعي<sup>(١)</sup>، لكني لم أجده في ديوانه.

### الخاتمة

- نتائج البحث:** تمخضت دراسة موضوع منهج دكتور رفيق المصري في التأصيل لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها من خلال التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم عن نتائج، من أبرزها:
- التعريف بدكتور رفيق المصري وجهوده في خدمة الإسلام.
  - الوقوف على منهج دكتور رفيق المصري واتجاهاته التفسيرية في تفسيره الاقتصادي.
  - إبراز كيفية معالجة دكتور رفيق المصري لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها.
  - بيان أصول التشريع الإسلامي التي اعتمد عليها للتأصيل لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها.
  - كشف أوجه الاستفادة من تفسيره الاقتصادي في الواقع المعاصر.
  - نقد آراء دكتور رفيق نقداً موضوعياً؛ ابتغاء إحقاق الحق وتمييز الصواب وبيان الراجح.
  - إمطاة اللثام عن مميزات التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم.
  - كشف مواضع القصور في تناول دكتور رفيق لبعض الآيات؛ لتجنب الوقوع فيها.
  - التحقق من مناسبة التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم لواقعنا المعاصر، على اختلاف مستويات أبنائه الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والثقافية والدينية والأخلاقية والعقلية...
  - الإسهام في علاج مشكلة عالمية كبرى، بما يكفل للحياة الإنسانية الدوام والاستقرار، ويحفظ بيتتها من الاختلال والتصدع والانهار.
  - تجديد الخطاب الديني من خلال تناول موضوع حيوي خطير، يمثل صمام أمان للبشرية جمعاء، يعرض يناسب روح العصر.
  - إثبات أن شمولية الإسلام ودعوته، جعلت مفهوم التنمية المستدامة الحديث أسلوباً أصيلاً في كل تعاليم الإسلام ومضامينه.

**أهم التوصيات:** تُوصي دراسة موضوع منهج دكتور رفيق المصري في التأصيل لأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها بما يلي:

- مناشدة العلماء المصنفين بأمرين:

- التحري فيما يكتبون وينقلون، فالعلم أسمى من التباهي بالخروج برأي فريد غريب مبني على نزاع الكلام من سياقه، أو إهدار المعنى اللغوي المعجمي، أو الاستناد إلى أحاديث ضعيفة، أو خطأ في استخدام الألفاظ الشرعية، أو تكلف ذكر أشياء لا حاجة للتفسير بها.
- الرجوع إلى أهل التخصص في المسائل المتخصصة، فعالم الاقتصاد ليس خبيراً بعلم الجيولوجيا أو الطب حتى ينقل معلومات غير موثقة في مؤلفه.
٢. مطالبة عامة المسلمين بتطبيق أهداف التنمية المستدامة ابتغاء مرضاة الله ﷻ فهي من صميم ديننا.
٣. مناداة العالم أجمع بالتزام تحقيق أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، فالخرق في سفينة يركبها الجميع، يضر بالجميع.
٤. تضمين المناهج الدراسية التعريف بأبعاد التنمية المستدامة وأهدافها .
٥. إنشاء مراكز متخصصة لتوعية الفرد والمجتمع بخطورة الإفساد في البر والبحر والجو.

(١) راجع: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (٣٣٦/٢)، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (٥١٧/٢) الحاشية)، درر الفرائد المستحسنة في شرح منظومة ابن الشحنة (ص٤٧٨). ومثله قوله قال الشاعر من غير عزو: (ألا إنمّا الدنيا كراج عتيقة \*-\*-\* أراد مديروها بها جلب الأنس) التفسير الاقتصادي ص١٦، والبيت لأبي القاسم ابن بقي، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٢٢٨/٣).



أهم المقترحات: دعوة العلماء والباحثين إلى دراسات علمية تثري الفكر الإسلامي المعاصر في الجوانب التالية:

- إبراز جهود علماء المسلمين في الدعوة إلى تحقيق أبعاد التنمية المستدامة وأهدافها.
- نقد الكتابات الحديثة في الدراسات الإسلامية نقدًا علميًا موضوعيًا.
- تصنيف تفاسير علمية متخصصة على غرار التفسير الاقتصادي، يلتزم فيها مصنفها تخصصه الدقيق، من غير تعدد على التخصصات الأخرى.

### المصادر والمراجع:

١. الإجماع: محمد بن المنذر، تحقيق: فؤاد أحمد، دار المسلم، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
٢. أحكام القرآن: أبو بكر بن العربي، تعليق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
٣. الأسس العامة لنظرية النمو الاقتصادي: كلاؤس روزه، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ١٩٩٠م.
٤. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: إبراهيم الحنفي، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: عبد الله بن عمر البياضوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.
٦. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٧. بحر المذهب: عبد الواحد الروياني الشافعي، تحقيق: طارق فتحي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م.
٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: محمد الفيروزآبادي، تحقيق: محمد النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦م.
٩. البلدان: أحمد بن إسحاق بن الفقيه، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ.
١٠. التأصيل الشرعي للخمر والمخدرات- دراسة فقهية مقارنة: سعد الدين هلال، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ١٤٢١هـ.
١١. تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي: عثمان بن علي فخر الدين الزيلعي، وحاشية: أحمد بن محمد بن أحمد الشلبي، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، ١٣١٣هـ.
١٢. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
١٣. التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن جزي، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ.
١٤. التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم: رفيق يونس المصري، دار القلم، دمشق، ٢٠١٣م.
١٥. تفسير القرآن الحكيم (المنازل): محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١٦. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم): محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٠هـ.
١٧. تفسير القرآن: منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وآخرين، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ.
١٨. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥هـ.
١٩. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين الأرمي، طوق النجاة، بيروت، ١٤٢١هـ.
٢٠. التنمية الاقتصادية: مطانيوس حبيب، جامعة قاريونس، ليبيا.
٢١. التنمية المتواصلة- قراءة في السكان والاستهلاك والبيئة: ميلو فانيا مافيانا، الجمعية المصرية للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م.
٢٢. توضيح الأحكام شرح تحفة الحكام: عثمان بن المكي، المطبعة التونسية، ١٣٣٩هـ.
٢٣. الجامع لأحكام القرآن: محمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وآخر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ.
٢٤. الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.
٢٥. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني: علي بن محمد الماوردي، تحقيق: علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.
٢٦. دراسات التنمية الاقتصادية: عاطف السيد، دار المجمع الفكري، جدة، ١٩٦٨م.

٢٧. روح البيان: إسماعيل حقي الخلوّتي، دار الفكر، بيروت.
٢٨. زاد المسير: عبدالرحمن الجوزي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٢٩. الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد القاسم الأنباري، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.
٣٠. سنن ابن ماجه: محمد الفزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الحلبي.
٣١. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخر، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.
٣٢. سنن الترمذي: محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد شاكر وأخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ.
٣٣. سنن الدارقطني: علي بن عمر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ.
٣٤. السنن الكبرى: أحمد البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ.
٣٥. الشرح الكبير على متن المقنع: عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا، تصوير: دار الكتاب العربي.
٣٦. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، وصوّرها بعنايته: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٣٧. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل الحلبي، القاهرة.
٣٨. طبقات المفسرين العشرين: جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ.
٣٩. طبقات المفسرين: محمد بن علي الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٠. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: أحمد بن علي السبكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ.
٤١. فتح القدير على الهداية: محمد بن عبد الواحد (ابن الهمام الحنفي)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (وصوّرتها دار الفكر، لبنان)، ١٩٧٠م.
٤٢. أنوار البروق في أنواء الفروق: أحمد بن إدريس القرافي، عالم الكتب.
٤٣. الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها: يوسف اليشكري، تحقيق: جمال الشايب، مؤسسة سما، ٢٠٠٧م.
٤٤. كتاب السبعة في القراءات: أحمد موسى التميمي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٤٠٠هـ.
٤٥. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
٤٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٤٧. محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
٤٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٤٩. المستدرک على الصحيحين: محمد بن عبدالله، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
٥٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.
٥١. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار: محمد بن حبان البستي، تحقيق: مرزوق علي ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٩١م.
٥٢. المغني: عبد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: طه الزيني وآخرين، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.
٥٣. مفاتيح الغيب: محمد بن عمر الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٥٤. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٥٥. المقدمات الممهّدة: محمد بن رشد، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.
٥٦. من بلاغة القرآن: أحمد عبد الله البيهقي، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٥٧. الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن: القاسم بن سلام، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المدبفر، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٧م.
٥٨. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: أبو بكر بن العربي المعافري، تحقيق: عبد الكبير العلوي المدغري، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٢م.
٥٩. الناسخ والمنسوخ: أحمد بن محمد النّحاس، تحقيق: محمد عبد السلام، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨هـ.
٦٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٦١. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٠٠م.

٦٢. النكت والعيون: علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.  
٦٣. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه: مكي بن أبي طالب، تحقيق: مجموعة رسائل  
جامعية، جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ.

المجلات العلمية: نحو عالم مستديم: راکز هاويت ولیم، مجلة العلوم، (١٤)، الكويت، ١٩٩٠م.  
المؤتمرات: إشكالية التنمية المستدامة وأبعادها-ورقة بحث مقدمة من عمار عماري، للمؤتمر العلمي الدولي حول  
التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، المنعقد بجامعة سطيف، في ٧-٨ من أبريل ٢٠٠٨م.  
الرسائل العلمية:

- دور استراتيجية الجودة الشاملة في تحقيق التنمية الاقتصادية في المؤسسة الاقتصادية: إلهام شيلي، ماجستير  
إدارة أعمال التنمية المستدامة، جامعة فرحات عباس سطيف، (٢٠١٤م).

- نواهد الأبحاث وشوارد الأفكار: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق ونشر: كلية الدعوة  
وأصول الدين، جامعة أم القرى، (رسائل دكتوراة)، ١٤٢٤هـ.

المواقع الإلكترونية على شبكة المعلومات الدولية:

- رفيق يونس المصري أحد أعلام الاقتصاد الإسلامي <https://islamonline.net>

- مدونة د. رفيق المصري <https://drmasri.files.wordpress.com>

- موسوعة الاقتصاد والتمويل الإسلامي <https://iefpedia.com/arab/?p=22119>

مراجع أجنبية:

National Institute on Alcohol Abuse and Alcoholism. Alcohol alert. In: The Genetics of Alcoholism, July 2003

The United Nations, getting started with the sustainable development goals, Aguid for stakeholders, 2015

## Abstract

The research was introduced to Dr. Rafik Al-Masry, the parameters of his approach in his economic interpretation, and his methods in inferring the principles of legislation to root the dimensions of sustainable development and its goals.

The study relies on the descriptive analytical approach, and is divided into three sections: the first: directions of economic interpretation in the rooting of the dimensions of sustainable development and its goals, the second: the inference method for the rooting of the dimensions and goals of sustainable development, and the third: evaluation of the rooting of economic interpretation of the dimensions and goals of sustainable development.

The study reached results, including: revealing the advantages of the economic interpretation of the Holy Qur'an in its rooting of the dimensions and objectives of sustainable development, and verifying the appropriateness of its treatment of our contemporary reality.

Keywords: Rafik Al-Masry - sustainable development - economic interpretation - directions of interpretation - the origins of legislation.